# المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الأول - ١٤٠٠ - ١٩٨٠

1

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء الكتب المحمدة

# رِحلة ابن معصوم المدني
# أو
# سَلوة الغريب وأسوة الأديب

القسم الثالث

تحقيق
شاكر هادي شكر
بغداد ـ الجمهورية العراقية

ومنها قولهم : انّه لا يبرك ؛ وقد شاهدنابروكه .

ومنها قول القزويني[٥٢٧] ان فرج الفيلةتحت ابطها ، فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من اتيانها ، وهذا غلط البتة ،فانّها كسائر أنائي الحيوانات أولات الأربع .

ومنها قولهم : ان صياحه من خرطومه ، وليس كذلك ، وانّما يصيح من حلقه . وقد ذكر من اعتنى بأخبار الحيوان من أخباره شيئاً كثيراً ،والاختصار بنا أولى .

ووصف بعض العرب الفيل فقال : لا ظهرفيركب ، ولا ضرع فيحلب . واحسن ما سمعت به في تشبيهه قول العلامة شهاب‌الدين احمد بن‌فضل‌الله في رسالته ( يقظة الساهي )[٥٢٨] وهو معنى غريب مستطرف :

هذا هو الفيلُ الذي يَبدو العجيبُ لَنا بهِ
ليلٌ قد افترسَ النّهارَ فبانَ في أثيابِهِ[٥٢٩]

**طريفة** : ذكر الطرطوشي[٥٣٠] وغيره : انّالفيل قدم دمشق في زمن معاوية بن أبي سفيان ،

---

(٥٢٧) لم اجد هذا القول في عجائب المخلوقات ،ووقفت عليه في حياة الحيوان للدميري ٢/٢٢٨ بنقله عن القزويني .

(٥٢٨) هو القاضي شهاب‌الدين احمد بن يحيى بن‌فضل‌الله العمري . توفي سنة ٧٤٩هـ والاسم الكامل لرسالته المذكورة ( دمعة الباكي ويقظة الساهي ) . يراجع معجم المؤلفين ٢/٢٠٤ .

(٥٢٩) جاء عجز البيت في (ك) هكذا ( النها ـ ر وقدبقي في نابه ) .

(٥٣٠) هو ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠هـ ( معجم المؤلفين ١٢/٩٦ ) .

فخرج الناس لينظروه لأنّهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك ؛ وصعد معاوية سطح القصر للنزهة فحانت منه التفاتة فرأى مع بعض حظاياه في بعض حجر القصر رجلاً ، فنزل مسرعاً الى الحجرة وطرق بابها ؛ فقيل من ؟ قال : أمير المؤمنين ، ففتح الباب ـ اذ لابد من فتحه طوعاً أو كرها ـ فدخل معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه وقدخاف خوفاً عظيماً ، فقال له معاوية : ما الذي حملك على ما صنعت من دخول قصري ، وجلوسك مع بعض حرمي ، أما خفت نقمتي ، أما خشيت سطوتي ؟ اخبرني ياويلك ما الذي حملك على ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك . فقال له معاوية : أرأيت ان عفوت عنك تسترها عليّ فلا تخبر بها أحداً ؟ قال : نعم ، فعفا عنه ووهب له الجارية وما في حجرتها ؛ وكان شيئاً له قيمة عظيمة . انتهى[٥٣١] .

وعلى ذلك يحكى انّ معاوية قال لعمرو بن العاص : انّي لأحبّ أن تكون فيّ خصال ، قال : وما هنّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : أحبّ أن لا يكون جهل أعظم من حلمي ، ولا ذنب أكبر من عفوي ، ولا عورة الاّ وأنا أسعها بستري ، ولا فاقة الاّ سددتها بجودي ، ولا قلب الاّ ملكته بعزي ، ولا نفس الاّ علوتها بقهري ، ولا يكون زمان أطول من أناتي .

فتبسّم عمرو ، فقال معاوية : لم تبسّمت ؟ فاني أعلم انّك ان قلت خيراً اضمرت شرّاً ، قال : نعم تمنيت الربوبية . قال معاوية : فاسترها عليّ . انتهى . من ( خلق الانسان ) للعلامة النيسابوري[٥٣٢] .

وقلت أنا في وصف الفيل وهو قريب من قول ابن فضل الله المتقدم ؛ الاّ انّ بين التشبيهين مغايرة :

يا حبّذا الفيلُ الذي شاهدته ... وشهدتُ منه ما نَمى لي ذكرُهُ

فكأنّه وكأنّ أبيضَ نابِهِ ... ليلٌ تبلّجَ للنّوافلِ فجرُهُ

وذكر بعضهم أن ابن بابك وهو عبدالصمد بن منصور بن الحسن[٥٣٣] الشاعر المشهور لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن بعض الحاضرين عليه ؛ وذكر انه منتحل ، وانه ينشد قصائد قد قالها ابن نباتة السعدي[٥٣٤] فأراد الصاحب بن عباد ان يمتحنه فاقترح عليه ان يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معد يكرب[٥٣٥] :

أعددتُ للحدثانِ سابغةً ... وعدّاءً عَلَنْدا

---

(٥٣١) الخبر في سراج الملوك للطرطوشي /١٤٢ مع اختلاف طفيف في اللفظ .
(٥٣٢) هو القاضي بيان الحق محمود بن ابي الحسن علي بن الحسين الغزنوي النيسابوري ؛ كان حياً سنة ٥٥٣هـ ( بغية الوعاة ٢/٢٧٧ ؛ ومعجم الادباء ١٩/١٢٤ ؛ وهدية العارفين ٢/٤٠٣ ) .
(٥٣٣) ترجمة ابن بابك ومصادرها في انوار الربيع ٣/٣٢٩ . وسيذكر المؤلف تاريخ وفاته بعد قليل ، وهو سنة ٤١٠هـ .
(٥٣٤) هو ابو نصر عبدالعزيز بن عمر ( ابن نباتة السعدي ) توفي سنة ٤٠٥هـ (انوار الربيع ٢/٣٤٢).
(٥٣٥) هو ابو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي استشهد في حرب القادسية سنة ٢١هـ ( انوار الربيع ٢/٨١ ) .

فقال :

قسماً لقد نشر الحيا بمناكبِ العلمَيْنِ بُرْدا[٥٣٦]
وتنفست يمنيّة كيْ تضحِكَ الزهرَ المندّى[٥٣٧]

الى أن قال :

ومساجلٍ لي قد سقتْ ستْ لدائِه في فيَّ لحْدا
لا ترْم بي فأنا الذي صيَّرتُ حُرَّ الشعر عبدا
بشوارِدٍ شمْسِ القيا دٍ يزِدْنَ عند القربِ بُعْدا
ومُمَسَّكِ البُردَيْنِ في شِبْهِ النقاشيّة وقدا
فكأنما نسجتْ عليـ ـه يدُ الغمام الجوْن جِلْدا
واذا لوَتْكَ صفاتُه أعْطاكَ مسَّ الرَّوْع نقْدا
فكأنَّ مِعْصَمَ غادَةٍ في ماضِغَيْهِ اذا تصدّى

ذكرت بقوله ( تصدّى ) بيتين لطيفين للاديب المهتار[٥٣٨] من شعراء هذا القرن ، وهما في مليح فقير الحال ، وقد أجاد في الاقتباس :

تصدُّ وكم تصدّى منكَ كفٌّ لمنْ لم يدرِ قدْرَكَ يا مُتصدّى
فصدَّكَ عن أولي ( أدبٍ ) وأمّا من استغنى فأنتَ له تصدّى[٥٣٩]

عاد شعر ابن بابك في وصف الفيل :

وكأنَّ عَوداً عاطِلاً في صفحتَيْهِ اذا تبدّى
يحدو قوائمَ أرْبَعاً يتركنَ بالتلعاتِ وَهْدا
واذا تخلْخلَ هضْبةٌ فكأنَّ ظلَّ الليلِ مدّا

ثم أتبع ذلك بالمديح فاستحسنها الصاحب ،ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه انّه انتحل شعر غيره • فقال : يامولانا الصاحب هذا والله معه ستون فيليّة كلّها على هذا الوزن لابن نباته ، فضحك منه •

---

(٥٣٦) القصيدة في يتيمة الدهر ٣/٢٣٣ ، وفي رواية بعض ابياتها اختلاف .
(٥٣٧) في الاصول ( المفدى ) مكان ( المندى ) والتصويب من يتيمة الدهر .
(٥٣٨) هو ابراهيم بن يوسف الرومي المكي المعروف بالمهتار قتل بصنعاء سنة ١٠٧٠هـ ( انوار الربيع ٢/٢٤٥ ) .
(٥٣٩) ( ادب ) كذا ورد في الاصول والصواب ( ارب ) .

( وكان قد برز أمر الصاحب لابن بابك وغيره من الشعراء الذين يحضرونه أن يصفوا الفيل على هذا الوزن . فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري[٥٤٠] وقد أطنب في وصفه )[٥٤١] :

فِيلاً كرَضْوى حينَ يَلْ ... بَسُ من رِقاقِ الغَيْم بُرْدا[٥٤٢]
مثلَ الغَمامةِ مُلْتَفَّتْ ... أكنافُها بَرْقاً ورَعْدا
رأسٌ كقُلَّةِ شاهِقٍ ... كُسِيَتْ من الخُيَلاءِ جِلْدا
فتَراهُ من فَرْطِ الدَّلا ... لِ مصَمِّراً للنَّاسِ خَدّا
يُزهى بخَرطُومٍ كمُشْـ ... ـلِ الصَّولجانِ يَرُدُّ رَدّا
متمدِّدٌ كالأُفْعُوا ... نِ تسدُّه الرَّمضاءُ مَدّا
أو كُمٌّ راقصَةٍ تُثَنِّـ ... ـيه رُبَّه الى النَّدْمانِ وَجْدا
أو كالمُصَلَّبِ شُدَّ جَنْـ ... ـباهُ الى جِذعَينِ شَدّا
وكأنَّه بُوقٌ يُحَرِّ ... رُ (م) كَهْ لينفخَ فيه جَدّا
يَسطُو بساريَتَيْ لُجَيْـ ... ـنٍ يَحطِمانِ الصَّخرَ هَدّا
اُذناهُ مِروحتانِ أُسْـ ... ـندتا الى الفُودَيْن عَقدا
عيناهُ غائِرتانِ ضَيِّـ ... ـقَتا (م) لجمعِ الضَّوءِ عَمْدا
فكَّهُ كفُوَّهَةِ الخَلِيـ ... ـجِ يَلُوكُ طُولَ الدَّهرِ حقْدا
تَلقاهُ من بُعدٍ فتحْـ ... ـسَبُه غَماماً اذْ تَبَدّى
مَتْناً كبُنيانِ الخَوَرْ ... نَقِ ما يُلاقي الدَّهرَ كَدّا
ذَنَباً كمُثْلِ السَّوطِ يَه ... ربُّ حولَه ساقاً وزَنْدا
يَخطُو على أمثالِ أعْـ ... ـمِدةِ الخِباءِ اذا تَصَدَّى
او مثلِ أميالٍ نُفِـ ... ـنَ من الصُّخُورِ الصُّمِّ نَضْدا
مُتَوَرِّداً حوضَ المَنِيَّـ (م) ـةِ حيثُ لا يَتَشَتَّقُ وِرْدا
متمكِّكاً فكأنَّه ... مُتَطاوِلٌ ما لا يُؤَدَّى
متلفِّعاً بالكِبْرِيا ... ءِ كأنَّه مَلِكٌ مُتَمَدِّى
أذكى منَ الانسانِ حتَّى لو رأى خَلَلاً لسَدّا
لو أنَّه ذُو لهجَةٍ وفِيَّ كتابَ الله سَرْدا[٥٤٣]

---

(٥٤٠) اورد له الثعالبي القصيدة الفيلية الآتية ،ولم يترجم له .
(٥٤١) وردت هذه الجملة المحصورة بين القوسين في ك مختصرة هكذا ( ثم ان الصاحب امر الشعراء ان يصفوا الفيل على هذا الوزن فقال ابوالحسن الجوهري قصيدة منها ) .
(٥٤٢) يوجد في يتيمة الدهر اختلاف في رواية بعض ابيات القصيدة .
(٥٤٣) سرد الحديث ، والقراءة : اجاد سياقهما واتى بهما على ولاء .

ومن قصيدة لأبي محمد الخازن(٥٤٤) :

وكأنّما خُرطومُه راوُوقُ خَمرٍ مُدَّ مَدّا
أو مِثلُ كُمٍّ مُسْبَلٍ أرخَتْهُ للتَّوديع سُعدى
واذا التَوى فكأنّه الـ ثُعبانُ من جَبَلٍ تَردّى
فكأنّما انقلَبَتْ عَصا مُوسى غداةَ بها تَحدّى

ومن شعر ابن بابك(*) بيت من قصيدة في غاية الرقة وهو :

ومرَّ بيَ النَّسيمُ فرقَّ حتّى كأنّي قد شَكوتُ اليه ما بي

ومن لطيف شعره أيضاً قوله(٥٤٥) :

وأغيدَ مَعسُول الشَّمائِل زارَني على فَرَق والنَّجمُ حَيران طالعُ
فلمّا جَلا صِبْغُ الدُّجى قلتُ حاجبٌ من الصُّبح أم قَرنٌ من الشَّمسِ لامعُ
الى أنْ رَنا والصُّبحُ رائِدُ طَرفِهِ كما راعَ ظَبياً بالصَّريمةِ رائعُ
فنازَعتُه الصَّهباء والليلُ دامسٌ رقيقُ حَواشي البُرْدِ والنَّسرِ واقعُ
عُقارٌ عليها مِن دَمِ الصَّبِّ نَفْضَةٌ ومن عَبَرات المُسْهَمِ ( فَواقع )(٥٤٦)
يُديرُ اذا سَحَّتْ عُيوناً كأنّها عُيونُ العَذارى شَقَّ عنها البراقِعُ
معوَّدَةٌ غَصْبَ العُقول كأنّما لها عند ألبابِ الرِّجالِ ودائِعُ
فبتنا وظلُّ الوَصلِ دانٍ وسِرُّنا مصُونٌ ومكتومُ الصَّبابَةِ ذائِعُ
الى أنْ سَلا عن وِرْدِه فارِطُ القَطا ولاذَتْ بأطرافِ الغُصُون السَّواجعُ
فولّى أسيرَ السُّكر يَكبُو لسانُهُ فتَنْطِقُ عنه بالوَداع الأصابعُ

قال صاحب اليتيمة : قرأت للصاحب فصلاً في ذكره فاستملحته وهو ، ( وأما ابن بابك وكثرة غشيانه بابك ، فانّما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام ) .

وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، وشعره طبقة عالية ؛ ولعمري انّ الطاعن عليه قد

---

(٥٤٤) هو أبو محمد عبدالله بن محمد الخازن له ترجمة في يتيمة الدهر ٣/٣٢٥ ، ومعاهد التنصيص ٢/٢٠٦ .

(٥٤٥) في يتيمة الدهر ٣/٣٧٩ بيتان من هذه القصيدة هما الخامس والسابع مع بيت ثالث لم يرد هنا ، هو :

تحيَّر دمع المزن في كاسها كما تحيَّر في ورد الخدود المدامع

(٥٤٦) ( فواقع ) كذا ورد في الاصول ويتيمة الدهر ؛ والصواب ( نقاقع ) .

أغرب ( في قوله ، وأدّى به الحسد له الى ما لايتوهمه أحد ، ولكنّ سورة الحسد تقحم الى أفظع من هذا )[٥٤٧] .

وهذا الصاحب بن عباد المذكور مع غزارةفضله ، وسجاحة خلقه[٥٤٨] قيل : انّه كان أشدّ الناس حسداً لأهل الفضل والأدب ، وعلى هذاخيطت شواكل الفضل وأقراب العلم . فكان يعمل في أوقات العيد ومواسم النيروز شعراً ويدفعهالى رجل ويقول له : قد نحلتك هذه القصيدة فامدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث منالمنشدين . فيفعل الرجل ذلك ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه : أعد يا فلان فانك مجيدمحسن ، أحسنت يا أبا فلان قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ، فلازمتاتخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء ، وتحوّل الكودن عتيقاً والمحمّر[٥٤٩] جواداً . ثم لا يصرفهعن مجلسه الاّ بجائزة سنيّة . وانّما يفعل ذلك ليغايظ الجماعة من الشعراء والفضلاء ، لأنّهميعلمون انّ ذلك الرجل لا يزن بيتاً ، ولا يعرض[٥٥٠] مصراعا ؛ ولا يذوق عروضاً .

وقال يوماً : من في الدار ؟ فقيل : أبو القاسمالكاتب ، وابن ثابت ، فعمل في الحال بيتين وقال لانسان بين يديه : اذا أذنت لهذين فادخل بعدهمابساعة وقل : قد قلت بيتين فان رسمت لي انشادهما أنشدت . وازعم انّك بدهت بهما ، ولا تجزع منتأفيفي بك ، ولا تفزع لنكيري عليك . ودفع البيتين اليه ؛ وأمره بالخروج الى الصحن . واذنللرجلين حتى وصلا ، فلما جلسا وأنيسا دخل الرجل ، وأخذ يتلمّظ يُري انّه يعرض شعرأثم قال : يا مولانا قد حضرني بيتان فان أذنت أنشدت ، قال : أنت أنشأت ؟ أنت أخرق سفيهسخيف لا تقول شيئاً فيه خير ، اكفني أمرك وشعرك . قال : يامولاي هي بديهتي فان كرتنيظلمتني ، وعلى كلّ حال فاسمع ، فان كانا بارعين[٥٥١] والاّ فعاملني بما تحب ؛ فالعبد عبدكوالأمر أمرك . قال : أنت لجوج هاتِ . فأنشد :

يا أيّها الصّاحبُ تاجَ العُلى ... لا تَجعلنّي ثهزَةَ الشّامِتِ

بِملحدٍ يُكنى أبا قاسمٍ ... ومُجْبرٍ يُعزى الى ثابتِ

فقال الصاحب : قاتلك الله لقد أحسنت وأنتمسيء ؛ قال أبو القاسم فكدت اتفقّأ غيظاً لأني علمت انّها من فعلاته المعروفة ، وكان ذلك الجاهللا يعرض بيتاً .

---

(٥٤٧) وردت الجملة في ك هكذا ( فيما قاله وعثرفيما لم تسمه اقالة ) .

(٥٤٨) في ك زيادة بعد كلمة ( خلقه ) هذا نصّها( ودينه وعقله وعلمه ونبله قال فيه بعض اعدائه ) .

(٥٤٩) الكودن : البرذون الهجين ؛ وقيل : البغل.العتيق : الفرس الرائع . المحمّر : الفرس الهجين.

(٥٥٠) يعرض : من العروض في اوزان الشعر ،ولعلها تصحيف ( يقرض ) من القريض .

(٥٥١) كذا وردت الجملة في الأصول وهي ناقصة.

ولما توفي الصاحب رحمه الله تعالى رثاه أكثرشعراء عصره ( ووقفت على أكثر مراثيهم في تاريخ غريب ، فما اخترته منها قول )[٥٥٢] أبي عيسىالمنجم[٥٥٣] :

والله ِ والله ِ مـا أفلحتُـم أبـداً ... بعدَ الوزيـر بن عبّـاد بن عبّـاس ِ
انْ كانَ منـكم جَليـلٌ فاجلبوا أجلي ... أو كانَ منكم رئيسٌ فاقطعُوا راسي

وقول أبي محمد الخازن(*)،[٥٥٤] :

يا كافيَ المُلكِ ما وفَّيتُ حقَّكَ من ... مَدحي وانْ طالَ تمجيدٌ وتأبينُ
هذي نَواعي العُلى قد قُمنَ نادبةً ... من بعد ما تَدبَتْكَ الخرَّدُ العِينُ
تبكي عليكَ العَطايا والصِّلاتُ كما ... تَبكي عليكَ الرَّعايا والسَّلاطينُ
قام السُّماة وكانَ الخوفُ أقعَدهُم ... واستَيقَظُوا بعدَما نام الملاعِينُ
لا تعجب الناسُ منهم انْ هُم انتَشروا ... مَضى سُليمانُ فانحلَّ الشَّياطينُ
ما مُتَّ وحدَكَ لا بل كلُّ من ولدت ... حَوَّاءُ طُرّاً بَل الدُّنيا بل الدِّينُ

ورثاه الرضي(*) بقصيدة لاميّة عدّتها مائةواثنا عشر بيتاً مثبتة بكمالها في ديوانه يقول فيها :

قالوا وقد فُجِئُوا بنَعْشكَ سائراً ... مَن ميَّلَ الجَبَلَ العَظيمَ فَمالا
وتَبادَرُوا عَطفَ الجيُوبِ وعاجَلوا ... عَضَّ الأنامِلِ يَمنَةً وشِمالا
ما شقَّقُوا الأكْساكَ وألْمُوا ... إلاَّ أنامِلَ نِلْنَ منكَ سِجالا

ولنعد الى ما نحن بصدده :

ومررنا بعد قطعنا عشر مراحل بقلعة( بيجاپور ) ـ بكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحت ، وجيم وبعد الألف باء موحدةأعجميّة وبعد الواو راء مهملة ـ وهذه القلعة هي دار ملك عادل شاه ملك تلك الأقطار ، فمررنا عليهاولم نجنح اليها ، وكان برز الينا أمر مولانا السلطان

---

(٥٥٢) وردت هذه الجملة في ك هكذا ( الا هذا فقدوضع رسالة في ذمه ، ولقد وقفت على جملة من مراثيه فمنها قول ) .

(٥٥٣) البيتان في يتيمة الدهر ٢٩٠/٣ منسوبانلبعض بني المنجم ، وفي روايتهما اختلاف طفيف وورد ذكر ابي عيسى هذا في عدة مواضعمن اليتيمة دون التصريح باسمه . ثم وقفت على قصيدة في يتيمة الدهر ٢١٨/٣ لابي القاسمالزعفراني يعزي بها ابا عيسى عن برذون له نفق جاء في البيت الثالث منها ان( اسمه ( احمدبن موسى ) . قال :

بك يا احمد بن موسى التسلّي ... والتعزّي من سائر الاشياء

(٥٥٤) الابيات في يتيمة الدهر ٢٨٤/٣ منسوبةالى ابي القاسم غانم بن ابي العلاء الاصبهاني ـ ترجمته في اليتيمة ٣٢٤/٢ ـ وفي روايةبعض ابياتها وترتيبها اختلاف .

خلّد الله ملكه بذلك . فنزلنا بقرية بالقرب منها ،في بستان الملك المذكور ، فيه عمارة عظيمة ، وبركة ماء كأنّها قطعة من السماء . وما ألطف قول ابن تميم(٥٥٥) في البركة :

لقد قابلتنـــا بالعَجـــائِب بَحـرةٌ  مكمّلةُ الأوْصافِ في الطّول والعرضِ
كأنّ الذي يَرنُـو اليهـا بطَرفِـه  يَرى تحتَه فوقَ السّما وهو في الارضِ

وللقاضي أحمد بن عيسى المرشدي(٥٥٦) فيها أيضاً :

ألا انظُرْ الى هـذا الصّفاءِ ببركـةٍ  تقولُ لمن قد غاب عنها من الصحبِ(٥٥٧)
لئِن غِبتَ عَن عَيْني وكدّرْت مشربي  تأمّل تَجِدْ تِمثالَ شَخصِكَ في قلبي

كان القاضي أحمد المذكور من علمـاء مكةالمشرّفة ، وأكابر أدبائِها البارعين نظمـاً ونثراً . توفي لخمس خلون من ذي الحجة الحرام سنة سبع وأربعين وألف على ما أخبرني به الوالد ، وأنشدني لـه :

قصرَ ابنِ عَقبةَ لازالتْ مُوصِلةً  منّي اليكَ التّحايا نَسمةُ السّحرِ
ولا عَدَتْكَ غوادي الرّيح تسحبُ في  رِحابِك الفيح ذيلَ الطّلّ والمطرِ(٥٥٨)
كم لذّةٍ فيكَ أرضيتْ الغرامَ بها  يوماً وأرغمتْ أنفَ الشّمسِ والقمرِ

وهذه الأبيات من قصيدة له فائقة نظمها فيدار ابن عقبة بقرية :لسلامة(٥٥٩) من الطائف وكتبها عليها .

وكان الشريف مسعود بن ادريس(٥٦٠) والي مكة المشرفة حلّى شداداً(٥٦١) لناقته ، فأمر القاضي المذكور أن ينظم بيتين ليكتبهما عليه ، فقال وأبدع في التورية :

أفْقَ الشّدادِ بَدتْ بـه  شَمسُ الخِلافَةِ والهِلالْ
ومن العَجـائِب جَمعُـهُ  ليثَ الشّـرافَةِ والغَزالْ

---

(٥٥٥) هو مجيرالدين محمد بن يعقوب المعروفبابن تميم . توفى سنة ٦٠٤هـ ( أنوار الربيـع ١/٢٧٠ ) .
(٥٥٦) هو قاضي مكة احمد ، وقد توفى كما قال المؤلف سنة ١٠٤٧هـ . تجد ترجمته ومصادرها في انوار الربيع ١/٤٩ .
(٥٥٧) في نفحة الريحانة ٤/٧٩ وسـلافة العصر/٩٥ ( لبركة ) مكان ( ببركة ) .
(٥٥٨) في نفحة الريحانة ( غوادي السحب ) .
(٥٥٩) السلامة : من قرى الطائف بها مسـجدللنبي (ص) وقبة تحتها قبر عبـدالله بن عبـاس وجماعة من أولاده (رض) .
(٥٦٠) هو مسعود بن ادريس بن الحسن بن ابينمي الثاني . توفى سنة ١٠٤٠هـ (الاعلام ٨/١١٠).
(٥٦١) الشـداد : رحل الناقة المعدّة للركـوب( عامية بدوية ) ومن عاداتهم وضع الشـداد في في صدر المجلس ليتكيء الرئيس عليـه ،وقد يتخلى عنه لأحد الضيوف مبالغة في اكرامه .

والهلال ، والغزال في اصطلاحهم اسمان لجزءين من الشداد .

رجع : فأقمنا بهذه القرية أياماً ، وقد قام لنا ملكها بالضيافة فيها قياماً .

دَخَلْنا على أنَ المَقامَ بلَيْلَةٍ فطابَتْ لنا حتّى أقمنا بها عَشْرا

ثم ارتحلنا نقطع تلك المراحل والمنازل ما بين نجد طالع وغورٍ نازل فمررنا على ( كليرجا ) وكانت احدى منازلنا ، وفيها مدفن العلاّمة بدرالدين الدماميني شارح التسهيل ، والمغني[٥٦٢] ، وهو :

محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسين بن محمد بن أحمد بن يوسف بن علي بن صالح بن ابراهيم ، بدرالدين القرشي المخزومي الاسكندري المالكي ، وعرف بالدماميني . قال السخاوي[٥٦٣] ولد سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالاسكندرية ، وسمع بها من البهاء ابن الدماميني . وشيوخه بالقاهرة : السراج ابن الملقن ، والمجد اسماعيل الحنفي ، وبمكة : القاضي أبو الفضل النويري . ومهر في العربية والأدب ، وشارك في الفقه وغيره بسرعة ادراكه ، وقوّة حافظته ، ودرّس بالاسكندرية في عدة مدارس ، وناب عن ابن التنسي في الحكم ، وتصدّر بالأزهر لاقراء النحو . ودخل دمشق ، وحجّ ورجع الى بلده . وترك النيابة وولي الخطابة مع اقباله على الاشتغال ، وادارة دولاب متّسع للحياكة وغير ذلك الى ان وقف عليه مال كثير . فاحترقت داره ، وفرّ من غرمائه الى جهة الصعيد فتبعوه وأحضروه الى القاهرة . فقام معه التقي ابن حجة ، وأعانه كاتب السر ناصرالدين ابن البارزي حتى صلح حاله . وحضر مجلس المؤيد ، وعين لقضاء المالكية بمصر ، فرمى بقوادح لم تبعد عن الصحّة . واستمرّ بها الى أن سار الى الحج سنة تسع عشرة وثمانمائة . ومنها الى اليمن في أول سنة عشرين ، ودرّس بجامع زبيد نحو سنة فلم يرج له بها أمر ، فركب البحر الى الهند ، فأقبل عليه أهلها كثيراً وعظّموه وأخذوا عنه ، وحصّل دنيا عريضة ، وكان أحد الكملة في فنون الأدب . أقرّ له الأدباء بالتقدّم فيه ، وباجادة القصائد والمقاطع والنثر ، معروفاً باتقان الوثائق مع حسن الخطّ . وصنّف نزول الغيث ، انتقد فيه أماكن من شرح لامية العجم للصلاح الصفدي المسمى : بالغيث الذي انسجم ، وقرّظ له أئمة عصره فأمعنوا . وله تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب ، وهما حاشيتان يمنية ، وهندية . وقد أكثر من تعقّبه فيها التقي الشمني ، وشرح البخاري ـ وجلّه في الاعراب ونحوه ـ . وشرح التسهيل ، والخزرجية في العروض ، وله [ جواهر ][٥٦٤] البحور في العروض أيضاً ، والفواكه البدرية من نظمه ، ومقاطع[٥٦٥] الشرب ، وغير ذلك . وقرّظ سيرة المؤيّد لابن ناهض .

---

(٥٦٢) هما ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو لابن مالك ؛ ومغني اللبيب لابن هشام .
(٥٦٣) القول في الضوء اللامع للسخاوي ١٨٥/٧ . في ك ( المناوي ) مكان ( السخاوي ) .
(٥٦٤) زيادة من الضوء اللامع ١٨٥/٧ وكشف الظنون ٦١٢/ .
(٥٦٥) في الاصول ( ومقاطيع ) والتصويب من الضوء اللامع ، وكشف الظنون ١٧٨١/ .

مات في شعبان سنة سبع وعشرين وثمانمائةبكلبرجا ، ويقال : انه سم في الأنبج[٥٦٦] ومات من سمه بعده بيسير • وفي معجم العسقلاني كذلك، الا انه في أنباء سنة ثمان وعشرين • انتهى من الضوء اللامع بنصه •

قلت : ومن مؤلفاته المشهورة : المنهل الصافيفي شرح الوافي ، ورأيت له بالهند عين الحياة : مختصر حياة الحيوان للدميري ، وقد أخل به اخلالا كثيراً •

ولما دخل الهند طارحه نحاتها فمني منهم بالداءالعياء ، حتى انهم ألفوا كتاباً في المسائل التي سألوه عنها ولم يجب فيها •

ومن ألغازه التي نظمها بالهند سائلاً نحاتهاقوله :

أيا علماءَ الهند لازالَ فضلكم ... مَدى الدهر يَبدو في منازِلِ سَعْدِه
ألمَّ بِكم شخص" غريب" لتُحسنُوا ... بارشادِه عندَ السُّؤال لقصدِه
وها هو يُبدي ما تَعسَّر فهمُه ... عليهِ لتَهدُوه الى سَبْلِ رُشدِه
فيسأل ما أمر" شَرَطتُم وجودَه ... لحكمٍ فلم تَقضِ النُحاةُ بِردِّه
فلمَّا وجَدنا ذلكَ الأمر حاصِلاً ... مَنعتُم ثبوت الحُكم الا بفَقْدِه
وهذا لَعمري في الغَرابة غايَة" ... فهلْ من جَوابٍ تُنعِمُون بسَرْدِه

والجواب : ان هذا الأمر هو العَلَميةاشترطت في الاسم الذي يجمع جمع تصحيح ، ولا خفاء في أن العَلَم اذا جمع زالت العلميةضرورة • ان تثنية العلم وجمعه يقتضي اخراجه عن كونه علماً اذ يصير نكرة ، لان العلم انما يكونمعرفة على تقدير افراده لموضوعه ، لكونه لم يوضع علماً الا مفرداً ، فهو دالّ على الوحدة •والتثنية والجمع يدلان على التعدد • والوحدة والتعدد متضادتان ، فيؤول الأمر الى انه مايشترطوجوده شرط للاقدام على الحكم ، وينفقد عند ثبوت ذلك الحكم •

وكان دخول البدر الدماميني الهند في دولةالملك ابي الفتح أحمد شاه بن محمد بن السلطان مظفّر شاه ملك كجرات ، وبرسمه ألّف شرحالتسهيل والمغني ، والمنهل ، واختصر حياة الحيوان • وكلّ تأليف ألفه في الهند ذكره فيديباجته ، وفيه يقول :

امامٌ أحاديثُ العُلى عنه اُسْنِدت ... فبادِرْ لكيْ تَروي لأحمد مُسنَدا
حياة" لمظلومٍ هلاك" لظالمٍ ... فبِالبأسِ والاحسانِ أشقى وأسْعَدا
فكم من عُفاةٍ نحوه قد تَردَّدَتْ ... على انّه في بِرِّهِم ما تَردَّدا

---

(٥٦٦) في الضوء اللامع ( سم في عنبا ) . اقول :والانبج هي العنبا .

ولم تحوِ أخبارُ السَّلاطينِ غايةً  من الرِّفعِ الاَّ كانَ في الحالِ مُبْتَدا
لقد وزنَ الأفعالَ بالعَدلِ دائماً  وعرَّف أسباباً تُنجّي من الرَّدى
فلم يَنْصرِفْ عن رُتبةِ الفضلِ اذ أتى  بِوزنٍ وتَعريفٍ أبانا عن الهُدى
وتلكَ رأياهُا لأحمدَ سُنَّةً  فعُدْ لحِماهُ تَشهد العَوْدَ أحْمَدا

وهذا الملك هو الذي عمّر أحمد آباد ،وهي بلدة مشهورة من أعمال الهند . وكان ابتداؤه في تعميرها سنة ستّ وعشرين وثمانمائة ، وكان قيامه بالسلطنة بعد جدّه مظفر المذكور سنة ثمان عشرة وثمانمائة . وتوفي سنة سبع وأربعين وثمانمائة . وقد بادت ملوك كجرات الآن ، واحتوى على ملكهم غيرهم والله الباقي .

وأكثر شعر البدر الدماميني(*) محتوٍ على محاسن التورية ، فمنه قوله :

يا عَذُولي في مُغَنٍّ مُطرِبٍ  حرَّكَ الأوتارَ لمَّا سَفَرا
كم تهزُّ العِطفَ منه طَرَباً  عندما تَسمع منه وتَرا

وقوله :

قلتُ له والدُّجى مُسدَلٌ  ونحنُ في مَجلسِ التَّلاقي(٥٦٧)
قد عَطَسَ الصُّبحُ يا حَبيبي  فلا تُشَمِّتْهُ بالفِراقِ(٥٦٨)

وقوله :

غَنَّى على العُود شادٍ سهمُ ناظِرِهِ  أمْسى به قَلبي المُضْنى عَلى خَطَرِ
رنا اليَّ وجسَّتْ كفُّهُ وَتَراً  فراحَت الرُّوحُ بين السَّهم والوَتَرِ

وقوله :

قُمْ بنا نَركبُ طِرْفَ الـ  ـلَّهوِ سَبْقاً للمُدامِ
واثْنِ يا صاحِ عِناني  لكمَيْتٍ ولجامِ

وقوله في الشهاب الفارقي :

قُل للَّذي اضحَى يُعظِّمُ حاتِماً  ويقولُ ليسَ لجُودِهِ من لاحِقِ
إنْ قِستَه بسماحِ أهل زَمانِه  أخْطَا قياسُكَ مع وجودِ الفارِقي(٥٦٩)

---

(٥٦٧) في الضوء اللامع ١٨٦/٧ ، وشذرات الذهب ١٨١/٧ والبدر الطالع ١٥١/٢ ونحن بالانس في التلاقي ) .

(٥٦٨) تشمته ، من الشمامة : الفرح ببليّة العدو . وشمّت العاطس وسمّته (بالمعجمة والمهملة) دعا له بقوله يرحمك الله .

(٥٦٩) في الضوء اللامع ( اهل زماننا ) .

ومن قوله في الاكتفاء :

أقـولُ لصـــــاحِبي والرَّوضُ زاهٍ ... وقد بَسَـــطَ الرَّبيعُ بساطَ زَهْرِ
تعـالَ تُباكِـرُ الرَّوضَ المُفَـــدَّى ... وقُمْ نَسعى الى وَرْدٍ ونَشْري[٥٧٠]

وأنشد له السيوطي في بغية الوعاة قولـه ملغزاً في كادي[٥٧١] :

وما شـيءٌ له نَشْرٌ ذكيٌّ ... لعاطرِهِ الى الطِّيب انتِسابُ
تروحُ له على رِجلَيك تمشي ... وتقلبُه (يداك) فما الجوابُ ؟

( قال[٥٧٢] : وقد نظمت جوابَهما بديهاً لماأنشدتهما بثغر الاسكندرية في رحلتي اليها فقلت:

ومُذ سَـمِعَت بهذا اللُّغز اُذني ... أتاني مِن تفضُّـلهِ الجَـــوابُ
فَذا طيـبٌ اذا صَحَّفتَ منـه ... أخيرَيْهِ لـه في الخُبْثِ بـابُ

المراد من ( أخيريـه ) الدال المهمـلة[٥٧٣] تصحّف بالمعجمة ، والياء المثناة تصحّف بالبـاء الموحّدة فيكون منه ( كاذب ) . ولاشكّ انّ له في الخبث باباً .

وعلى ذلك فمن نوادر الأكاذيب مما يتعلّل به ويجري مجرى الفكاهة ببعض الهزل ،واحجام النفس عن الجدّ ؛ كما قيل[٥٧٤] :

أفِدْ طبعَكَ المكدُودَ بالجِدِّ راحةً ... يَجُمُّ وعلِّلهُ بشـــيءٍ من المَـزْحِ
ولكنْ اذا أعطَيتَـه ذاكَ فليَـــكنْ ... بمقدارِ ماتُعطي الطَّعامَ منَ المِلْحِ[٥٧٥]

ما حدّث الصاحب بن عباد عن الوزير أبي محمد المهلبي : انّ بعض الأحداث من بغداد من أولاد أرباب النعم فارق أباه مستوحشاً ، وخرج الى البصرة ، وكان في الفتى أدب وظرف . فدخلها وقد انقطع به الحال ، وتحيّر في أمره ، فسأل عمّن يستعان به من أهلها من الفضلاء ، فوصف له نديم لأمير كان بها في ذلك الوقت من المهالبة ، فقصده وعرض عليه نفسه ، وعرّفه أمره . فقال : أنت من

---

(٥٧٠) ( المفدى ) كذا وردت الكلمة في الاصول ولعلها تصحيف ( المندى ) . اكتفى الشاعر بكلمة ( نسري ) عن ( نسرين ) وهو ورد ابيض عطري قوي الرائحة .

(٥٧١) ( كادي ) بالدال المهملة ، كذا وردت في الاصول وفي بغية الوعاة ٦٧/١ . وقال صاحب القاموس ( الكاذي ) بالذال المعجمة : شجر له ورد يطيّب به الدهن . وسيذكر المؤلف بعد قليل قول صاحب القاموس .

(٥٧٢) القول للسيوطي في بغية الوعاة . وقد سقطت هذه الجملة مع البيت الاول من جواب السيوطي من ( ك ) والحق البيت الثاني ببيتي بدرالدين الدماميني في اللغز .

(٥٧٣) يريد الدال المهملة من كلمة ( يداك ) .

(٥٧٤) البيتان في يتيمة الدهر ٣٣٠/٤ وزهر الآداب ١٦٥/١ لابي الفتح البستي ، ووردا في نهاية الارب ٩٧/٦ بدون عزو .

(٥٧٥) في نهاية الارب ( المزح ) مكان ( ذاك ) .

أصلح الناس لمنادمة هذا الأمير ، وهو من أحوج الناس اليك ان صبرت منه على خَلَّة ، فقال : وما هي ؟ قال : هو رجل مشغوف بالكذب لا يصبر عنه ولا يفيق منه ، ولابدّ لك من تصديقه في كلّ شيء يقوله ، وكلّ كذب يختلقه لتحظى بذلك عنده ، وان لم تفعل ذلك لم آمنه عليك ، فقال الفتى : أنا أفعل ذلك واحتذي رسمك فيه ولاأتجاوزه .

فوصفه هذا النديم لصاحبه ، فقال : لا يكون بغداديّاً يسيء الأدب ، فضمن عنه حسن الأدب واقامة شروط الخدمة . واستحضره فحضر ،وأعجب به وخلع عليه ، وحملت له صلة من ثياب ودراهم وغيرها ، ووضع بين يديه مائدة وواكله ،وأحضره في مجلس أنسه ، وهو في أثناء ذلك يأتي بالعظائم من الكذب فيصدّقه . الى أن قال مرّة وقد أخذ الشراب من الفتى : انّ لي عادة في كلّ سنة أن أطبخ قدراً كبيراً وقت ورود حاج خراسان أدعوهم وأطعمهم جميعهم من تلك القدر الواحدة. فتحيّر الفتى وقال : وأيّ شيء هي هذه القدر ؟بادية العرب ، دهناء بني تميم ، بحر القلزم ؟ فغضب الأمير وأمر بتمزيق الخلع عليه ، وردّ الصلة الى الخزانة ، وطرده في بعض اللّيل . وأقبل على النديم يعنّفه ويلومه . وعاد الفتى الى باب النديم وبات عليه الى أن أصبح ، وعاد الرجل الى منزله فدخل عليه واعتذر بالسكر ، وضمن أن لايعود لمثل ذلك . فاستوثق منه النديم ثم عاد الى صاحبه وحسّن أمره وقال : انه كان بعيد عهد بالشراب فلم تتحمله قوّته ، وعمل النبيذ فيه عملاً لم يشعر معه بشيء مما جرى ، وانّه بكّر اليّ يزعم ان اللصوص عند عوده الى مبيته عارضوه وأرادوا أن يأخذوا منه صلة الأمير فمانعهم عن ذلك فمزّقوا عليه خلعة الأمير .

فرسم الأمير اعادته الى المجلس ، وأضعف له في اليوم الثاني الجائزة ، وزاد في الخلعة والكرامة ، وجعل الفتى يتقرّب بأنواع التقرّب اليه ، واذا كذب الأمير صدّقه وحلف عليه . الى أن جرى ذكر الكلاب الزينيّة الصغار[٥٧٦] فقال الأمير : قد كان عندي منها عدّة في غاية الصغر ، حتى انّي كنت آمر بأن تلقى في المكحلة ، وكان لي مضحك أعبث به فآمر أن يكحل من تلك المكحلة اذا نام وسكر ، وكان اذا أصبح وأفاق من سكره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينيه ، ولا يقدر عليها لصغرها . قال : فقام الفتى وخلع الثياب المخلوعة عليه ، وترك الجائزة وعدا عريانا وقال : لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين،اعمل بي ماشئت وعاد الى بغداد[٥٧٧] .

وورد على الصاحب ، وقبله على ابن العميد شيخ حسن الهيئة والشيبة ، مقبول الشارة والبزّة، يرجع الى فضل كثير وتفنن في العلوم ، ويقول شعراً جيّداً ، ولكنه كان مشغوفاً بالكذب وكانت له أوابد وعجائب يحدّث بها عن نفسه ولايتحاشى .

فممّا حكي انّه قال : سلكت طريقاً بالروم في شدّة البرد ، فلما ارتفع النهار سمعنا في الهواء

---

(٥٧٦) صنف من الكلاب ورد ذكره في الحيوان للجاحظ ١/٢١١ .

(٥٧٧) للمؤلف ارجوزة طويلة في ديوانه الذي انتهيت من تحقيقه تبلغ ٦٩٣ بيتاً سماها ( نغمة الاغان في عشرة الاخوان ) ضمّن احد فصولها هذه الحكاية وجعل عنوانها ( التحذير من صحبة الكذاب ) .

أصواتاً مختلفة ، وكلاماً عالياً ولم نر أحداً ، فاذاقوم كانوا سلكوا ذلك الطريق قبلنا في الليل ، وجمدت أصواتهم من شدّة البرد في الجوّ ، فلماحمي النهار وطلعت الشمس على الأصوات الجامدة ذابت فكنّا نسمعها ، وواحد يقول : اشدد الرحل،وآخر يقول : اسرج الدابة مما يجانس من كلام جماعتهم . وذكر انّه وجد في هذه الطريق جبلاً أسود فشدّ به رحله ، فلما طلعت عليه الشمس تقطّع وطار وسقط رحله على الطريق ، وانّ ذلكمن اجتماع خطاطيف كثيرة أصابها البرد وأدخل كل واحد رأسه في است الآخر وصارت على هيئةالحبل ، فلما مسّها حرّ الشمس طارت . انتهى من ( خلق الانسان ) للعلامة النيسابوري

ورأينا بالهند نوعاً من الكادي أصفر ، وهوأذكى رائحة من الأبيض ، لا يشكّ من رآه ولم يعرف ذلك انّه مضمّخ بزعفران . وقد استفيدممّا مرّ من كلام السيوطي ان الكادي بالدال المهملة ، وهو خلاف المشهور . وذكره فيالقاموس في مادة ( كذا ) ــ بالذال المعجمة ــ والله أعلم .

رجع : وزرنا بكلبرجا هذه ضريح السيدمحمد المشهور بكيسو دراز ، أي طويل اللمّة ، وهو أحد الصوفية المشهورين ، والسادة المباركينتقصده ملوك الهند للزيارة وتنذر له النذور، وعلى ضريحه قبّة عظيمة معلّق فيها عقود لآلٍ ثمينة ،يقال : انّ بعض التجار كان في البحر فاشرفت سفينته على الغرق فنذر ان أنجاه الله تعالى أنيعلّق على ضريح السيد هذه اللآلىء وكانت معه : فانجاه الله تعالى ووفّى بنذره . وكانت وفاة السيدالمذكور سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وعلى ذلك فما ألطف قول أبي الفتح البستي :

تنازعَ الناسُ في الصُّوفيّ واختلفوا فيه وظنّوهُ مُشتقّاً من الصُّوفِ
وليسَ أنحلُ هذا الاسم غيرَ فتىً صافى فصُوفيَ حتّى لُقّبَ الصُّوفي

وقد اختلف في مأخذ هذا الاسم والوصفبه . قال أبو نصر السراج[٥٧٨] : انّما قيل لهم الصوفيّة نسبة الى ظاهر اللّبسة ، اذ كان لبسالصوف دأب الأنبياء والأولياء والصديقين وعباد الله المخلصين ، فنسبوا اليه ، حتى يكون ذلك اسماًمجملاً عاماً مخبراً عن جميع أوصاف التنسك وآداب التعبد ، اذ لو كان الاسم ببعضها لم يكنذلك البعض بأولى من غيره فوصفوا باللّبسة الظاهرة .

وقال بشر بن الحارث[٥٧٩] : هو مَن صفاقلبه لله .

وقد قربت عباراتهم عن الصفوة على مخرجاسمهم فقالوا : هو مَن صفّا نفسه عن كدورة المخالفات ، وقالوا : هو من صفت لله معاملته ،وصفت له من الله كرامته .

---

(٥٧٨) هو عبدالله بن علي الطوسي ( ابو نصر السراج ) صاحب كتاب اللمع في التصوف . توفي سنة ٣٧٨هـ ( شذرات الذهب ٣/٩١ ، ومعجمالمطبوعات /١٠١٧ ) .
(٥٧٩) هو بشر الحافي بن الحارث من كبار الصالحين . توفي ببغداد سنة ٢٢٧هـ ( الاعلام ٢/٢٦ ).

وسئل محمد بن علي استاذ الجنيد[٥٨٠] عن التصوف فقال : التصوّف جملته[٥٨١] أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وقال أبو الحسن الثوري : التصوف في الحقيقة هو الخُلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد في التصوّف . وقيل : انّه سئل عن التصوف فأنشد :

عُري وجوع وحَفا ... وماءُ وجهٍ قد عَفا
وليسَ الاّ نَفَسٌ ... يُخبرُ عمّا قد خَفا
قد كنتُ أبكي طَرَبا ... فصرتُ أبكي أسَفا

وقيل : التصوف هو أن يستعذب البلاء ولايسأل كشفه ؛ ويستحلى العناء ولا يبغي صرفه ؛ وأنشد[٥٨٢] :

لستُ أشكو هَواكَ يا مَن هَواهُ ... كلَّ يَومٍ يَرُوعُني منه خَطْبُ
مُرٌّ ما مرَّ بي من اجْلكَ حُلوٌ ... وعَذابي في مِثلِ حُبِّكَ عَذْبُ

وقيل : التصوّف صيرورة الأهواء هوىً ،والهموم همّاً ، وأنشد :

سَرَتْ في سوادِ النَّفسِ حتى اذا انْتَهى ... بها السَّيرُ وارتادَتْ حِمى القَلبِ حلَّتِ
فَواللهِ ما في القَلب شيءٌ من الهَوى ... لأخْرى سِواها أكثَرت أم أقلَّتِ

وكلامهم في ذلك يطول . ومن املاء المولى الأعظم قطب الدين الشيرازي[٥٨٣] : التصوف في زماننا عبارة عن متابعة التيوس [ اللحيانية ][٥٨٤] وتقوية النفوس الشهوانية ، والرقص بالحركات الميلانية ، والانسلاخ من جميع الاخلاق الانسانية،ومخالفة رسول الله (ص) في جميع الوظائف الايمانية . انتهى .

وكتب بعض الأفاضل ( لعلّ في قوله : فيزماننا ، دفعاً لما يفهم من مذمتهم على الاطلاق . وعلى ذلك فما ألطف قول القاضي أحمد بن عيسى المرشدي[*] :

صُوفيَّةُ العَصْرِ والأوانِ ... صُوفيَّةُ العَصْرِ والأواني
فاقُوا على فعلِ قَومِ لُوطٍ ... بنَقْرِ زانٍ لِنقْرِ زانِ[٥٨٥]

---

(٥٨٠) هو ابو جعفر القصاب ( محمد بن علي )المتوفى سنة ٢٧٥هـ ( تاريخ بغداد ٦٢/٣ ) .
(٥٨١) في ك ( جملة ) مكان ( جملته ) .
(٥٨٢) نسب المؤلف هذين البيتين في كتابه انوارالربيع ٩٧/٤ لابي اسحاق الصابي .
(٥٨٣) هو محمود بن مسعود ( قطب الدين الشيرازي . توفي سنة ٧١٠هـ ا معجم المؤلفين ٢٠٢/١٢ )
(٥٨٤) اللحياني ( بالكسر ) : الطويل اللحية ) . في ع ( اللخياتية ) وفي ك و ا ( اللحسانية والصواب ما اثبته .
(٥٨٥) قال محقق نفحة الريحانة ٧٩/٤ ( نقرزان )الثانية : الآلة الموسيقية .

وبالجملة فالحال الآن كقولة من قال :

لقد هَزُلَتْ حتَّى بَدا من هُزالِهـا  كُلاهـا وحتَّى اسْتامَها كلُّ مُفلِسِ

نقل القرطبي[٥٨٦] عن ابي بكر الطرطوشي(*) انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤن شيئاً من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعرفيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبّابة[٥٨٧] ، هل الحضور معهم حلال أولا ؟ فأجاب : مذهب السادة الصوفية ، ان هذا بطالة وجهالة .

( قال العلامة الدميري في حياة الحيوانالكبرى : وقد رأيت انه أجاب بلفظ غير هذا وهو انّه قال : مذهب الصوفية بطالة وضلالة وجهالة ،الى آخر كلامه ) . وما الاسلام الاّ كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وأما الرقص والتواجد فأول منأحدثه أصحاب السامري لما اتخذ عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون ؛ فهو دينالكفار ، وعباد العجل . وانّما كان النبي (ص) يجلس مع أصحابه كأنّ على رؤوسهم الطير معالوقار . فينبغي للسلطان ونوّابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحلّ لأحدٍيؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولايعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك والشافعي وأبيحنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين . انتهى .

ولنعد الى ما نحن بصدده . ثم لم نزل نصلالمسير بالسرى ، ونفترع الآكام والذرى ، حتى طوينا جملة تلك المراحل ، وقطعنا الخصب منهاوالماحل ، فكان آخر منزل نزلناه ، وأمطنا فيه شعث السفر وأزلناه : قصراً لبعض خدام مولانـاالسلطان ، يشتمل على بستان يملأ العين قرّة ويسلي عن الأوطان . مستحكم الأركان والقواعد،قد استدار به نهر استدارة القلب[٥٨٨] بالساعد ، يختال من روضه في حلّة مفوّفة بالأزهار ، مطرّزةبالجداول والأنهار . فبتنا به ليلة نراقب فيها تسمير الليل ذيله ، فلما أسفر الفجر عن صبح يوم الجمعةالمبارك بقدرة الله تعالى وتبارك ، لثمان بقين من شهر ربيع الأول قضى الله بانقضاء مدة هذا السفرالمطوّل ، فسرنا وقد استقبلتنا المواكب ما بين راجل وراكب حتى وافينا قلعة ( كلكتّه )نصرالله صاحبها وجنده ، وهي دار الملك الخطير ، ومقرّ المنبر والسرير ، وغاية الجهة التي قصدناها ،ونهايتها التي أردناها فوردناها ، فكانت محطّ رحالنا واليها مطارح آمالنا .

واجتمعنا بالوالد في ذلك اليوم اجتماعاً لميخطر ببال في يقظة ولا نوم ، فاقرّ الله به العين ، وأراح من مشاق السفر ومتاعب البين ، وبها ألقيناعصا التّرحال ، والحمد لله على كلّ حال .

ومن الغريب أن بعض الفضلاء الذين بحضرةالوالد أرّخ اجتماعنا هذا بقوله ( تمّ سرور

---

(٥٨٦) هو ابو بكر محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، من كبار المفسرين . توفي سنة ٦٧١هـ ( الاعلام ٦/٢١٧ ) .

(٥٨٧) الشبابه ( بفتح الشين وتشديد الباء ) : قصبة الزمر .

(٥٨٨) القلب ( بالضم ) : سوار للمرأة غير ملوي .

اللّقاء ) فكان والله كذلك فانا لم نر بعد ذلك اليوم يوم سرور خالياً من بواعث الهموم والشرور ، بل لم تنتج الأعمال الاّ خلاف مطمح الآمال ، وآلت الحال الى قول من قال :

يا ضيعَةَ الأمَل الذي وجّهتُه ... طمعاً الى الأقوام بل يا ضَيعَتي
وسُرى السّفائن يَنثَني بصدُورها ... مَوجٌ كأسنِمة الجِمال الجِلّةِ (٥٨٩)
يا دهرُ حسبُكَ قد أصبتَ مَقاتلي ... مازلتَ تطلبُ بالمقادِر غِرّتي
مالي أحيلُ على سِواكَ بما جَنى ... قَدَرٌ على قَدرٍ وأنتَ بَليّتي

هذا وانّما أعجلنا هذا الكلام في هذا المقام ليستدل على الآخر بالاول ؛ ويستغني بالمختصر عن المطوّل ، فاللّبيب تكفيه الاشارة ؛ والغبي لا يفهم بصريح العبارة ؛ على اني أقول بعد هذا المنقول :

وثمّ أمورٌ ليسَ يُمكنُ كشفَها ... شِكايتُها عزّت فواجبُها الكَتمُ

وقد أسلفت في الديباجة ما قضيت به الحاجة ، فحبس العنان عن هذا المدى ، أولى عند أولي الهدى . فطوبى لمن عقل لسانه وكفّه ، وأطلق بالخير بنانه وكفّه ، فمن فرّط في التحفّظ أسف على ما فرط منه من التلفّظ . عصمنا الله بالمراقبة لصون اللسان عما يدني من الاساءة وينثي عن الاحسان ، فانه السميع البصير واليه المصير .

وهذه نبذة من شعر الوالد الأعظم (٥٩٠) تزهى زهو الدر المنظّم . قال دام مجده في الحماسة (٥٩١) :

الى كم تقاضاني الظّبا وهي ضامِيَه ... وتشكو العَوالي جوعَها وهي طاوِيَه
وتشجي الجيادُ الصّافناتُ صهيلُها ... متيمَّ وقَعاتٍ على الدّم طافِيَه
فمن مُبلغٍ عنّي نِزاراً ويَعرُبا ... أولئكَ قومٌ أرتجيهم لما بِيَه
حماةٌ كماةٌ قادةُ الخَيلِ في الوَغى ... ضراغمُ يومَ الرّوع تلقاكَ ضارِيَه
بهاليلُ في البأساء يومَ تناضُلٍ ... اذا ما التقى الجَيشانِ فالعارَ آبِيَه
ثيابُهمُ من نَسجِ داودَ سُبّغاً ... وأوجُههمُ تحكي بُدوراً بِداجِيه (٥٩٢)
سَمَوا لدراكِ المَجد والثأر والعُلى ... وروّوا قَناهُم من دِما كلّ طاغِيَه

---

(٥٨٩) الجلة ( بالكسر ) : الابل المعظام ، للواحد والجمع ؛ والذكر والانثى .
(٥٩٠) هو الامير احمد نظام الدين بن الامير محمد معصوم . انتهت اليه الرئاسة في حيدراباد . توفي سنة ١٠٨٦هـ ( سلافة العصر /١٠ ونفحة الريحانة ٤/١٧٨ ) .
(٥٩١) القصيدة في سلافة العصر /١٨ ونفحة الريحانة ٤/١٨٥ مع وجود اختلاف في رواية بعض ابياتها .
(٥٩٢) في ك ( مسبغ ) و ( بدور الدياجيه ) .

وسارُوا على مَتنِ الخيول وسَوَّروا ... بِذي شُطَبٍ عَضبٍ وسَمراءَ عالِيَهْ
علاءٌ لهم لم يَبرحُوا في حِفاظِه ... مَدى الدهرِ والأزمانِ عَنه مُحامِيَهْ
فهم سادةُ الأقوامِ شَرقاً ومَغرِباً ... وبرّاً وبَحراً والقُرومُ المُباهِيَهْ
فلا غَروَ ان كانَ النبيُّ محمّدٌ ... اليهم لَيُنمى في جَرائيمَ سامِيَهْ
به كَسَرُوا كِسْرى وفَلُّوا جموعَهُ ... لكَثْرتِها في العدِّ لم تَدرِ ما هِيَهْ
ونافُوا على الأطوادِ عِزّاً ورِفعَةً ... وزادُوا على الآسادِ بأساً وداهِيَهْ
بَلاغاً صَريحاً واضِحاً كاشِفاً له ... قِناعَ المَحيَّا فليَلَبِّينَ داعِيَهْ
وايّاهُمُ والرَّيْثُ عن نَصرِ خِدْنِهِمِ ... ولايأمَنوا الدنيا فلَيْسَتْ بصافِيه(٥٩٣)
وقل لهمُ يَسْرُونَ فوقَ جيادِهم ... خَفايا كما تَمْشي مع الشَّقم عافِيَهْ

وقال(٥٩٤) :

نَصلَ الهَوى من قَلبِ ذي الوَجْدِ ... وسَلا المتيَّمُ عن لِقا هِنْدِ
وعَدَتْ عن الآرام نِيَّتُهُ ... وغَدَتْ غَوايَتُه الى رُشْدِ
وتبدَّل التقوى عن الأهوا ... لرجا ثوابَ الله ذي المجدِ
ونَضا الصِّبا عنه غَوايَتَه ... فاستقبلَ الأيّامَ بالزُّهدِ
فتَراهُ لا يَصبُو الى دَعَدٍ ... كلاَّ ولا منها الى وَعْدِ
لكن ثَنى نَفساً مُوَكَّهةً ... عن كلِّ أمرٍ مُهلكٍ مُرْدِ
أضنَتْهُ ذكرى أزْمُنٍ سَلفَتْ ... بالجِزعِ أو بالبانِ من نَجدِ
اذ كانَ فيها جمعُ اخوتِهِ ... دَهراً ولمّا يُرمَ بالبُعدِ(٥٩٥)
اخوانِ صدقٍ حائزي كرَمٍ ... أهلِ الفَواضِلِ مَنجَعِ الوَفدِ
من كلِّ غِطريفٍ تَراهُ إذا ... حميَ الوغى كالخادرِ الوَرْدِ
حاوي المعالي سَيِّدٍ فَطِنٍ ... طَبٍّ بهَتْكِ الجَوشَنِ السَّردِ
وعَقيدِ كلِّ كَتيبةٍ طَرَقَتْ ... ليلاً وفارسِ خيلِها الجُرْدِ
ومُثيرِها وقتَ الضُّحى أمَماً ... تَنْبو عن التَّعدادِ والحَدِّ
خفّاقُ ألويةٍ على الأعدا ... حمّالُ كلِّ مُلِمَّةٍ تُرْدِي

---

(٥٩٣) في ك ( يامن ) وفي أ ( تامن ) مكان يامنوا ).
(٥٩٤) القصيدة في سلافة العصر ؛ وفي رواية بعض ابياتها اختلاف .
(٥٩٥) عجز البيت في ك ( دهر ومجمع اكرم الولد ) .

صَبْحُ الجَبينِ تَراهُ ذا بَهَرٍ  تحتَ التَّريكةِ نيِّرٌ يَهْدي(٥٩٦)
كم من يدٍ بيضاءَ قلَّدَها  جيدَ الرِّجال بنعمةٍ تَلْدِ(٥٩٧)
وعَفا عن الذَّنبِ القَطيع وكم  أعْطى عَطاً يَربُو على العَدَدِ
حُلوُ الجَنى مرٌّ مذاقتُهُ  يومَ الوَغى للفارسِ الصَّلْدِ
مازالَ صَفواً وِرْدُهُ عَسَلا  للوَفْدِ انْ جاؤا بلا وَعْدِ
أهْفُو الى مَرْآهُ انَّ بهِ  نيلَ المُنى ومنابتَ السُّؤْدِ
وعَوارِفاً ومَعارِفاً عُرِفَتْ  أبدَ الدُّهورِ وغايةَ القَصْدِ
لَهفي عَلى وقتٍ بهِ حَسَنٍ  أيَّامُهُ أعْيادُهُ عِنْدي(٥٩٨)
في كلِّ حينٍ لي بعَقْوَتِهِ  أنسٌ أنيقٌ زاهرُ الخَدِّ(٥٩٩)
حيثُ الصِّبا عُقَّتْ تمائِمُهُ  عنِّي وأصحابي أولو ودِّي(٦٠٠)
لم ألقَ غيرَ ذَوي الصَّفا احداً  فكأنَّني في جنَّةِ الخُلدِ(٦٠١)

وأنشدني دام مجده لنفسه اجازة في المحبرة :

مِحبَرَةُ الحَبْرِ الَّذي من يَرِدْ  بِحارَهُ يَنهَلْ بماءِ الحَياهْ
بألسنِ الأقلامِ تتلو لنا  من داؤه الجهلُ فانّى دواه(٦٠٢)

ولبعضهم في المعنى :

هذي دَواةٌ للسَّخا والعَطا  تقَّنَها المجدُ بماءِ الحَياه(٦٠٣)
قد فتحَتْ فاها وقالَت لَنا  من مسَّهُ الفقرُ فاني دَواه

وأنشدني الوالد لنفسه وهو ذو قافيتين :

طابةٌ طابَتْ بشربِ الظَّبي [ زاهي الخدِّ ] مَعسُولِ الشَّفاهْ ( اللَّمى )(٦٠٤)
يا لَه من مَنهلٍ عذبٍ يُزيلُ الكَرْبَ بَل يَروي الظَّماه ( الظَّمَا )

---

(٥٩٦) التريكة ــ هنا ــ بيضة من حديد يضعها المحارب على راسه .
(٥٩٧) التلد ( بفتح فسكون ) كالتالد : المال القديم .
(٥٩٨) صدر البيت في ك ( لهفي على زمن به نضر ) .
(٥٩٩) في ك ( انس انيق ساحب البرد ) .
(٦٠٠) عقّت ( للمجهول ) : قطعت . في ك ( ذوو ) مكان ( اولو ) .
(٦٠١) في ك ( لم الف ) مكان ( لم الق ) .
(٦٠٢) في ك ( بالسن الاقلام تدعو الورى ) .
(٦٠٣) تقّنها ( بفتح التاء وتشديد القاف المفتوحة ) : سقاها .
(٦٠٤) طابة : من اسماء الخمرة . الذي بين القوسين سقط من الاصول والتكملة من انوار الربيع ١٥٦/٢ .

وأنشدني لنفسه أيضاً :

تَراءَى كظبيٍ خائِفٍ من حَبائِلٍ  يشيرُ بطرفٍ ناعسٍ منه فاتِرِ
وقد مُلِئَتْ عيناهُ من سُحبِ جَفْنِهِ  كنَرجِسِ رَوضٍ جادَهُ وبلُ ماطِرِ

وكتب بهما الى مولانا وشيخنا محمدالشامي[٦٠٥] مع رقعة صورتها :

يا مولانا عمّر الله بالفضل زمانك ، وأنارفي العالم برهانك • سمحت للعبد قريحته في ريم هذه صفته بهذين البيتين ، فان رأى المولى أنيجيزهما ويجيرهما من البخس ، فهو المأمول من خصائل تلك النفس ، وان رآهما من الغث فليدعهماكأمس ، ولعل الاجتماع بكم في اليوم هذا بعد الظهر قبل العصر[٦٠٦] لنحثّ كؤوس انحادثةما راق بعد العصر • والمملوك كان على جناح ركوب ، بيدانه كتب هذه البطاقة بسرعة وأرسلهاالى سوق أدبكم العامرة التي ما برح اليها كلّ خير مجلوب •

فأسْبِلِ السِّتر صَفحاً ان بَدا خللٌ  تَهتِكْ به سِتْر أعداءٍ وحُسّادِ

فكتب مولانا الشيخ بهذين البيتين بديهة ،فعين الله على تلك الفطرة النبيهة :

ولربَّ مُلتَفٍ بأجيادِ المَهـا  نَحوي وأيْدي العِيس تَنفُثُ سَمَّها
لم يَبكِ من ألمِ الفِراقِ وانَّما  يَسقي سيُوفَ لحاظِهِ لِيُسِمَّها

ثم نظم معنى بيتي الوالد فقال :

ولقد يُشيرُ اليَّ عن حَدَقِ المَهـا  والرُّعب يَخفقُ في حَشاهُ الضَّامرِ
أسْيانَ يفحصُ في الحِبال كأنَّه  ظبيٌ تخبَّطَ في حِبالَةِ جازِرِ[٦٠٧]
غشيَتْ نواظِرَهُ الدُّموعُ كأنَّها  ماءٌ تَرقرقَ في مُتونِ بَواتِرِ
رقّت شمائِلُه ورقَّ أديمُهُ  فتكادُ تَشربُهُ عُيونُ النَّاظِرِ

وقال الشيخ أحمد الجوهري[*] معارضاً :

وظَبيٍ غريرٍ بالدَّلالِ مُحجَّبٍ  يرى انَّ فرضَ العَينِ سَترالمحاجرِ[٦٠٨]
رَماني بِطَرفٍ أسبلَ الدَّمع دونَه  لِئَلاَّ أرى عَينَيْهِ من دونِ ساترِ

---

(٦٠٥) هو محمد بن علي بن محمود الشامي استاذالمؤلف . توفى سنة نيف وتسعين والف ( انوار الربيع ١/٥٠ ) .
(٦٠٦) في ك ( في هذا اليوم يقدر بعد الظهر ) وفينفحة الريحانة ٤/١٨٣ (قبل الظهر او بعد العصر). وما في سلافة العصر موافق للمثبت وهورواية (ع) و (ا) .
(٦٠٧) في ك ( خادر ) والخادر : الاسد ، وفي ا( حاذر ) وفي سلافة العصر ونفحة الريحانة ـ ( جاذر ) مكان ( جازر ) .
(٦٠٨) في سلافة العصر ونفحة الريحانة ( يرى انستر العين فرض المحاجر ) .

وقلت أنا في سنة ثمان وستين وهو أوّل شعري :

ألا ربَّ ظبيٍ كالهِلالِ جَبينُهُ رَماني بسَهمٍ من جُفونٍ فَواتِرِ[٦٠٩]
يُشيرُ بطرفٍ وهو يَرتاعُ خِيفَةً كما ارتاع ظبيٌ خوفَ كُفَّةِ جازِرِ[٦١٠]
وعيناهُ مَملوءانِ دَمعاً كنرجسٍ عليه سقيطُ الطلِّ ليسَ بقاطرِ

ومما أنشدنيه الوالد لغيره ، قول القاضي تاج الدين المالكي(*) وهو المبتكر لهذا المعنى :

بَدا البُرقعُ الشَّرقي كالشَّفق الذي عَلى فَرْقِهِ لاح الهلالُ بلا فَرقِ[٦١١]
وأبدَى عجيباً في عَجيبٍ لأنَّه أرانا هلالَ الأفقِ يَبدو من الشَّرقي

وقال القاضي أحمد بن عيسى المرشدي(*) معارضاً :

وخودٍ كَبدرِ التمِّ في جنحِ مِصْوَنٍ حَماها عن الأبصارِ برقعُها الشَّرقي[٦١٢]
سِوى طرَّةٍ مثل الهلالِ بَدت لنا على شفقٍ والفرقُ كالفَجر في الأفقِ[٦١٣]
فقلتُ هلالٌ لاحَ والفجرُ طالعٌ من الأفقِ أم لاحَ الهلالُ من الشَّرقِ[٦١٤]

وقوله أيضاً في المعنى :

بالبُرقعِ الشَّرقيِّ تحـ ـتَ المِصْوَنِ الباهي الجمالْ
أبدَتْ لنا شَفَقاً وليـ ـلاً لاحَ بينَهما هِلالْ

ونظم المعنى الشيخ شرف الدين العصامي(*) فقال مع زيادة وجه آخر في التورية :

وخَوْدٍ من الأعرابِ لمَّا تلثَّمَتْ ببُرقعِها الشَّرقيِّ في مَعشرِ العشقِ[٦١٥]
وشَرَّقَ خدَّيها الحياءُ بحُمْرةٍ أرَتنا هلالَ الأفْقِ يَبدو من الشرقِ

وللنظر في هاتين البيتين مجال .

---

(٦٠٩) في سلافة العصر ونفحة الريحانة ( ولله ظبي ) .
(٦١٠) الكفة ( بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة ) : حبالة الصياد . لا وجود لهذا البيت والذي بعده في سلافة العصر ونفحة الريحانة .وجاء في محلهما البيت الآتي :
جرت بمآقيه الدموع كأنّها مياه فرندٍ في شفار بواتر
(٦١١) جاء صدر البيت في ك هكذا ( بدا في ظلام الليل والبرقع الشرقي ) .
(٦١٢) المصون ( بكسر فسكون ففتح ) : رداء اسود لنساء الحجاز .
(٦١٣) سقط هذا البيت من ك .
(٦١٤) في نفحة الريحانة ٤/٧٨ وانوار الربيع٥/١١٣ ( من الغرب ) مكان ( من الافق ) .
(٦١٥) في ك ( تلفتت ) مكان ( تلثمت ) و ( فئة )مكان ( معشر ) .

وأنشدني الوالد للقاضي تاج‌الدين المذكورفيما يكتب على هياكل الصدور :

غَنِيَتْ بحِلْيَةِ حُسنِها عن لُبْس أصنافِ الحُلي
وبدَتْ بهَيْكلِها البَدِيـ ـع تقولُ شاهِدْ واجتلِ
تَجدِ المحاسِنَ كلَّها قد جُمِّعت في هَيكلي

وقد زاحمه على سبكه هذا جماعة من معاصريه ، منهم السيد أحمد بن مسعود بن حسن ابن أبي نمي بن بركات[٦١٦] فقال :

لله ظبيٌ سربُه يَزهُو به في المَحفِلِ[٦١٧]
قَنَصَ الأسودَ بقالَبٍ قَيدِ الأوابد هَيْكَلِ[٦١٨]
وله الجَوارِ المُنْشِئاتُ جَوى الحُشاشَةِ للخَلي
من كلِّ رُؤْدٍ لحظُها يُزري بحَدِّ المُنْصُلِ
مُشتاقُها من ثَغرِها وأثِيثِها في مُشْكِلِ
ما قالَ في ظَلمائِها يا أيُّها اللَّيلُ انجَلِ
فاقَ الغَواني حالِيا تٍ عاطِلاً في هَيْكَلِ
وغدا ينمُّ به فأز رى الحَلْيُ بالنَّمِّ الجَلي

ومنهم القاضي احمد بن عيسى قال وأجاد[٦١٩] :

أنا ربَّةُ الحُسنِ الجَلي لمؤمِّلي المتأمِّلِ
صَدري ووَجْهي مُنيَةٌ للمُجتَني والمُجْتَلي
فالْحَظْ بديعَ محاسِني من تحت أنواع الحُلي
تَجدِ المحاسِنَ والحُلِيَّ ( م ) جَمالها من هَيْكلي

ومنهم القاضي شرف‌الدين بن السيد عمرالحسيني المالكي الخلوتي القاضي بمكة[٦٢٠] المشرفة قال :

---

(٦١٦) هو الشريف احمد بن مسعود ابن ابي نمي‌المتوفى سنة ١٠٤١هـ ( انوار الربيع ١/٢٩١ ) .
(٦١٧) الابيات في سلافة العصر /٢٥ ونفحة الريحانة ٤/٩٠ ؛ وفي رواية بعض ابياتها اختلاف .
(٦١٨) الهيكل : غلاف من الفضة يتخذ للتعاويذ( سلافة العصر /٢٨ ) .
(٦١٩) الأبيات في نفحة الريحانة ٤/٩١ وفي روايةالبيتين الأول والرابع اختلاف .
(٦٢٠) سماه المؤلف في كتابه ( انوار الربيع ٥/١٣ ا) : يحيى بن السيد عمر المكي ، وقلت انا في الحاشية : احتمل انه نجل العلامة السيدعمر بن السيد عبدالرحيم الحسيني الشافعي المكي المتوفى سنة ١٠٣٧هـ .

أفدي كعُوباً ذاتِ حُسنٍ ناهداً ... قد صاغها الباري بأجمل هَيْكل[٦٢١]
خَطرَتْ بهَيكلٍ قدّها وبهَيْكلٍ ... في جِيدها الباهي السَّنى المُتهلّل[٦٢٢]
بينَ الغَواني المُبدعات بحُسنِها ... وجمالها مُهدي الجَمالة للحُلي[٦٢٣]
وتقولُ عُجباً بينَهن ورقّةً ... هل هَيكلٌ في الحسنِ يحكي هيكَلي[٦٢٤]

وأنشد الوالد لنفسه في المعنى[٦٢٥] :

خَوْدٌ جَلا الأنوارَ نورُ جَبينِها ... والفرعُ منها كالبَهيم الأليلِ
تَزهو بجيدِ الرِّيم الاّ انّهُ ... هادٍ الى الوَجه المنيرِ الأجملِ
قالت لصبٍّ قد تزايدَ وَجدُه ... مِن صدّها بتعزُّزٍ وتَدلّلِ
أنا نُزهةُ الأبصارِ ذاتاً فاجتلِ ... منّي محاسِنَ قد حَواها هَيكلي

وله أيضاً في المعنى :

خَودٌ جَلالي وَجْهُها ... بَدراً مُنيراً مُعتَلي
قالَت لمُدنِفِ هَجرِها ... بتَعزُّزٍ وتَدلُّلِ
أنا نُزهةُ الألبابِ ذا ... تاً والبَهابي يَعْتَلي[٦٢٦]
ومحاسنُ الدُّنيا جَميعاً ... قد حواها هَيكَلي

وأنشدني لكثيرٍ عزّة[٦٢٧] :

أقولُ لها عُزَيْزُ مطلتِ دَيْني ... وشرُّ الغانياتِ ذَوُو المِطالِ[٦٢٨]
فقالَت ويحَ غيرِكَ كيفَ أقضي ... غريماً ما ذَهبتُ له بمالِ

---

(٦٢١) ( كعوباً ) كذا ورد في الاصول ، وانوار الربيع ٥/١١٣ ، وسلافة العصر /٢٧ ، واخال الصواب ( كعاباً ) .
(٦٢٢) في ك ( الباري السني ) وفي انوار الربيع٥/١١٤ ( السنيّ المنهل ) .
(٦٢٣) في ك ( الغواني المعجبات ) و ( جمالها يهديالجمال الى الحلي ) .
(٦٢٤) في ك ( ورفعة ) مكان ( ورقة ) .
(٦٢٥) في ك ( ومنهم الوالد وانشدنيه بنفسهفقال ) .
(٦٢٦) في انوار الربيع ( الابصار ) مكان ( الالباب ). وورد البيت والذي بعده في ك وكانهما مستقلان عن البيتين السابقين لاختلاف الوزن وهما :
انا نزهة الالباب جلوة كـ ( م ) ـلّ شيء والبهابي يجتلي
ومحاسن الدنيا جميعاً جمّعت ... لي اذ حواها للملاحظ هيكلي
(٦٢٧) هو ابو صخر عبدالرحمن بن الاسودالمعروف بكثيّر عزة . توفي سنة ١٠٥هـ ( انوار الربيع ١/٢٤٩ ) .
(٦٢٨) في ك ( اولي المطال ) .

ومن املائه زيد في علائه ، وعزاه للشريف أبي نمي بن بركات[٦٢٩] :

بشّرتني بغلام حسن الوجه وسيم
قلتُ عزّي لا تهنّي ولدُ الشيخ يتيم

ومنه وهو لجدي الشيخ محمد المنوفي[٦٣٠] :

عتبتُ على دهري بأفعاليه التي أضاقَ بها صدري وأضنَى بها جسمي
فقالَ ألم تعلم بأنّ حوادثي اذا أشكلت ردّت لمن كانَ ذا علمِ

ومنه وهو لأبي الحسين الجزّار(*) :

أحمّلُ نفسي كلّ يومٍ وليلةٍ هموماً على مَن لا أفوزُ بخيْره[٦٣١]
كما سوّد القصّارُ في الشمس وجهَهُ ليجهدَ في تبييضِ ثوبٍ لغيرِه[٦٣٢]

ومنه وهو من قصيدة لعربيّ من شهران[٦٣٣]:

ووالله ما الثوبُ الذي متقلّل على شرفٍ ترمي الذّواري بجانبه*[٦٣٤]
باكثرَ من قلبي خفوقاً وحيْنا جميعٌ وخوفي من تنائي عواقبه

قلت : ولي قريب من هذا المعنى من قصيدة امتدحت بها الوالد:

لقد كنتُ أبكي قبلَ أن اعرفَ النوى مخافةَ بَينٍ والخطوبُ هجودُ
فكيفَ وقد شطّ المزارُ وأصبحَتْ أيادِي النوى تحدوُ بنا وتقودُ

وفي يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر ربيع الأول استدعانا مولانا السلطان خلّد الله ملكه ، وأجرى في بحار النصر فلكه ، للمثول بحضرته الشريفة ، والرقي الى سدّته المنيفة ( فاكتحلنا بتلك الغرّة الزهراء ، واستضأنا بتلك الزهرة الغراء )[٦٣٥] ورأينا من ذلك الأفق المنير ، والتاج والسرير نعيماً وملكاً كبيرا ، وخيراً وخِيرا ،وفضلاً كثيرا .

---

(٦٢٩) هو الشريف محمد بن بركات ( ابو نمي الثاني ) توفي سنة ٩٩٢هـ ( الاعلام ٦/٢٧٦ ) .
(٦٣٠) هو العلامة محمد بن احمد المنوفي جدّ المؤلف لامه . توفي سنة ١٠٤٤هـ ( نفحة الريحانة ٤/١٧٢ ) .
(٦٣١) في الغدير ٥/٤٢٣ ( قلبي ) مكان ( نفسي ) .
(٦٣٢) في الغدير ( حريصاً على تبييض ) . وفي ك( أثواب غيره ) .
(٦٣٣) شهران : بطن من خثعم .
(٦٣٤) متقلل : مرتفع . في ك ( متعلق ) .
(٦٣٥) في ك ( فاكتحلنا بتلك الغرّة الزاهرةواستضأنا بتلك الزهرة الباهرة ) .

رأيتُ امْـرءاً مـلءُ عَـين الزَّمـا ... نِ يَملُو سَحاباً ويَرسُـو ثَبيرا(٦٣٦)

مليكاً شـآى الـكلَّ لمَّـا بَـدا ... نَـدىً أوَّلاً وعَتَـاداً أخِـيرا

اذا مـا حَـللتَ حمى جُـودِه ... رأيتَ نَعيمـاً ومُلـكاً كبِـيرا

وهذا مكان درر من قصيدة الوالد التي أحكم نظامها ، وأودعها من صفات هذا الملك الأعظم ما يزين به انتظامها حيث يقول(٦٣٧) :

( بكلٍّ تَداوَينا فلم يُشفَ ما بنا ... على أنَّ قُرب الدار خيرٌ من البُعدِ(٦٣٨))

بَلى ليسَ بُعدُ الدَّار ياصاح ضائراً ... اذا كانَ عبدُ الله مُنتَجعَ الوَفْدِ(٦٣٩)

شَهِنشاهُ شاهٍ قُطبُ شاهٍ مليكُنا ... وَالي وُلاةِ الأمر مَشْرَعَةُ الرِّفدِ

مليكٌ سَما فرعَ السَّماكَين راقِياً ... الى رُتبةٍ عَلياءَ ذاتِ عُلاً نَهْدِ(٦٤٠)

مليكٌ لَدى الهَيجاء تَعنُو لبأسِه ... أسود الشرى هيهات ماصولة الاسدِ(٦٤١)

مليكٌ اذا ضاقَ الزمانُ توسَّعَتْ ... خلائقه الحسنى فجاءت على القصدِ(٦٤٢)

يسومُ جميعَ العالَمينَ نَوالُهُ ... فيوسِعُهم جوداً ينوفُ على العَدِّ(٦٤٣)

تظلُّ مـلوكُ الأرضِ خاضِعةً لـه ... فجبَّارُهم عندَ المَلاقاةِ كالوَغدِ

له هَيبةٌ قـد ألبسَ اللهُ وجهَـهُ ... بهاءً ونوراً شاهِدَيْنِ على السَّعدِ

هو الملكُ المنصورُ ذو الفَخرِ والعُلى ... وربُّ النَّدى والأمرِ والحلِّ والعَقْدِ

وقطبُ مُلوكِ الأرضِ دامَ عَلاؤُهُ ... ودُمنا زَماناً راتعي عَيْشِهِ الرَّغدِ

فأكرِمْ بظلِّ اللهِ في كلِّ أرضِهِ ... ونجلِ مُلوكٍ مُنتَمينَ الى جَدِّ

---

(٦٣٦) في ك ( يعل سحابا ويعلو ثبيرا ) .

(٦٣٧) القصيدة طويلة مثبتة في سلافة العصر /١٠١ مطلعها :

سلا هل سلا قلبي عن البان والرند ... وعن اثلات جانب العلم الفرد

(٦٣٨) البيت مضمن من قصيدة تنسب لمجنون ليلى ولشعراء آخرين ، يراجع ديوان المجنون جمع وتحقيق عبدالستار احمد فراج . سقط هذا البيت من ك .

(٦٣٩) صدر البيت في ك ( الا انّ بعد الدار ليس بضائر ) .

(٦٤٠) في ا ( مليكاً ) وفي ك ( هام السماكين ) .

(٦٤١) في ا ( مليكاً ) وفي ك ( لدى العلياء ) .

(٦٤٢) في ا ( مليكاً ) وفي ك ( فكان على القصد ) .

(٦٤٣) يسوم : يقصد ، ويبتغي . في سلافة العصر ( ويشمل كلّ العالمين ) .

**ذكر نسب المولى المذكور :**

هو الملك الأعظم والسلطان المعظم عبدالله بن محمد قطب شاه بن محمد امين بن ابراهيم قطب شاه بن سلطان قلي المشهور ببراملك قطب الملك ، وهو أوّل من استبدّ بالملك واحتوى على الصقع الدكني من الديار الهندية وذلك سنة اثنتي عشرة وتسعمائة[٦٤٤] . وكان ملكاً منصوراً مظفراً ، افتتح بسيفه سبعين قلعة ، وكان يبارز بنفسه ، فأصابته في وجهه جراحات شاته ، فكان يستر وجهه لذلك . توفي سنة خمسين وتسعمائة شهيداً بمواطاة ابن له عن تسعين سنة . وهو ابن أويس بن الأمير بيرقلي بن الامير قرا يوسف بن قرا محمد ــ وهو الذي افتتح العراقين ، وأذربيجان واحتوى على ذلك الصقع وكسر الأمير أبا بكر بن الأمير تيمور في سنة تسع وثمانمائة ــ ابن قرا تورسن[٦٤٥] بن قرا منصور .

ولا حاجة بنا الى التطويل بذكر النسب كلّه لاستعجام الأسماء وافتقارها الى الضبط . وهم من ملوك الترك التراكمة ، وينتصل نسبهم بيافث بن نوح عليه السلام . وكان أوّل من أسلم منهم آغز خان بن قرا خان[٦٤٦] والملك فيهم منه الى يافث بن نوح موروث بطناً عن بطن .

ملوكٌ هم الأنيابُ للملكِ والسّوى ... اذا نشبوا كانوا الزّوائد أو عدّوا
توكّوا فأفضى ملكهم لمحبّبٍ ... تصادمُ تيجانُ الملوكِ اذا يبدّوا
تأخرّ عصراً فاستزادَ من العلى ... كما زادَ بالتأخيرِ ما ترقمُ الهندُ

أدام الله أيام ولايته الشريفة ، وخلّد أعوام عدالته المنيفة ، ولا زال النصر لافّاً بلوائه ، والظفر حافّاً بفنائه ، ما اتّصلت عين بنظر ، واذن بخبر .

من قال آمين أبقى اللهُ مُهجتَهُ ... فانّ هذا دعاءٌ يشملُ البَشَرا

وكان جلوسه الشريف على سرير الملك المنيف يوم الخميس لأربع عشرة خلون من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وألف ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وذلك بعد وفاة والده المرحوم في السنة المذكورة .

لقد خطبتْ شمسُ الخلافةِ بدْرَها ... فقارنها في الأوْج الطّالع السّعدُ
وأصبحَ عطلاً جيدُ من رامَ عِقدَها ... سواهُ وأضحى يستضيءُ به العِقدُ
تفرّد طودُ الملكِ بالمجد جامعاً ... مزاياهُ فهو الجامعُ العلَمُ الفردُ

جمع الله الممالك في سلك ملكه ، وجعل أقطار الأرض جارية في حوزته وملكه وأيّد دولته المشرقة الليالي والأيام الى قيام الساعة ، وساعة القيام .

---

(٦٤٤) في ك ( سنة عشر وتسعمائة ) ؛ وفي ا ( سنة احدى عشرة وتسعمائة )

(٦٤٥) في ك ( طورسن ) ؛ وفي ا ( توربين ) .

(٦٤٦) سقطت كلمة ( بن قراخان ) من (ك) و ( ا ).

واجتمعت في حضرة الوالد بجماعة من الأعيان ، ورؤساء العصر والأوان : ممن حلّى بهم الدهر جيده ، وملكهم الفضل طارفه وتليده ، فاكتحل برؤياهم جفني القريح ، وهبّت بعرف ريّاهم لكتابي هذا أطيب ريح .

فمنهم العلامة الوحيد ، القدوة الفهّامة الفريد ، أعلم العلماء الأعلام ، وعمدة العظماء الفخام ، امام المنظوم والمنثور ، حامل لواءعلميهما المأثور ، الاستاذ الأعظم والملاذ الأنبل الافخم ، مولانا الشيخ محمد بن علي بن محمودبن يوسف بن ابراهيم الشامي لا زال في أعلى المراتب سامي . وهو الامام الذي ألقت اليه العلوم مقالدها ، وقلّدته الفهوم طارفها وتالدها ، فأضحت بسنى أنواره ساطعة ، وبشبا أفكاره قاطعة ، فهو يتحلّى مع فضله الوافر وصبحه السافر ، بأدب يعقد عليه الخنصر على ما يكشف من ابهامه ، ويقرطس شواكل الغرض بصوائب سهامه . وأقلّ ما يعدّ من مأثوره جمعه بين منظوم الأدب ومنثوره ، ووصفه بانّه اذا نثر أخجل العقود في النحور ، واذا نظم استنزل الدراري من الأفلاك واستخرج الدرر من البحور ، وما وراء ذلك من أفانين العلوم ، فهو لدى كلّ علم من البديهي المعلوم ، وهو الذي أوضح لي من الشعر طرائقه ، وعرّفني ( سائغه ورائقه )[٦٤٧] ، وعنه أخذت علمي النحو والبيان، وبعض أبواب الفقه والحساب ، فعادت عليّ بركات أنفاسه ، ولاحت لي لوامع نبراسه ، وحقّ لي أن أنشد بين يدي هذا المرشد :

ولو لم ألقَ غيركَ في اغترابي ... لكانَ لقاؤكَ الخطرَ الجزيلا[٦٤٨]

وقد أثبت من غرر كلامه ودرر نظامه مايستنشق له ريّا ، ويباهى به عقد الثريّا . فمن ذلك ما أنشدنيه شفاهاً وهو قوله :

رقّتْ شمائلُه فقلتُ نسيمُ ... وزكتْ خلائقُه فقلت شميمُ
قصرَ الكلامَ على المَلام وانّما ... لِلّحظِ في وَجَناتِه تكليمُ
شَرِقَتْ معاطفُه بأفواه الصِّبا ... وجرى عليه بَضاضةٌ ونعيمُ
قد كادَ تشرَبُه العيونُ لطافةً ... لكنّ سيفَ لحاظِه مَسْمُومُ

ومن بديع شعره ، وسحر بيانه أو بيان سحره :

اذا أبصرتُ شخصَكَ قلتُ بدرٌ ... يلوحُ وأنتَ انسانُ العيونِ
جَرى ماءُ الحياةِ بفيكَ حتّى ... أمِنتُ عليكَ من رَيبِ المنُونِ

وقوله من قصيدة فريدة :

طارتْ بلبّكَ حيثُ طار بها الهَوى ... وَرقاءُ قطّع نوحُها الأكبادا

---

(٦٤٧) في ك ( سابقه ورائقه ) . وفي ا ( سابقه ورائقه ) .
(٦٤٨) الخطر ـ هنا ـ : الشرف وارتفاع القدر .

غنّتكَ أحوجَ ما تكونُ الى البُكا ... هَل تُحسنينَ لواجدٍ اسْعادا
ومُزَيِّفٍ للحبِّ عندي قالَ لي ... والعيسُ تَقدحُ للفِراقِ زِنادا[٦٤٩]
ما بالُ قلبكَ لا يَقرُّ قرارُهُ ... أحَلالُه طعمُ الهَوى فَازْدادا
أمْسِك فؤادَكَ انْ مررتَ على اللّوى ... فأجبتُ هلْ أبقى الفِراقُ فُؤادا
خفِّضْ عليكَ من المَلام فانّني ... عوّدتُ قلبي حُبَّهم فاعْتادا

وقوله من أخرى[٦٥٠] :

وقد جَعلَتْ نَفسي تحنُّ الى الهَوى ... حَلا فيهِ عيشٌ من بُثَيْنةَ أومَرَّا
وأرسلتُ قلبي نحوَ تيماءَ رائداً ... الى الخَفِراتِ البيض والشَّدْنِ العُفْرا
تعرَّفَ منها كلَّ ليلاءَ خاذِلٍ ... هي الرِّيمُ لَولا أنَّ في طَرفها فَتْرا
من الظَّبياتِ الرِّئْدِ لو أنَّ حُسنَها ... يُكلِّمُها أبدَتْ على حُسنِها كِبْرا
وآخر إنْ عرَّفتُه الشَّوقَ راعَني ... بصَدٍّ كأنّي قد أبنتُ له وَتْرا[٦٥١]
اناشِدُ فيه البَدرَ والبدرُ غائرٌ ... وأسألُ عنه الرِّيمَ وهو بهِ مُغْرى
وأسْترشِدُ الشِّعْرى العَبُور وقَلَّما ... تَبينُ لنا عن ليلِ طُرَّتِه الشِّعرى
فما رَكِبَ البَيْداءَ لوْ لم يكنْ رَشاً ... ولا صَدَعَ الدَّيجورَ لوْلم يكُنْ بَدْرا
لحاظٌ كأنَّ السِّحرَ فيها عَلامةٌ ... تعلَّمُ هاروتَ الكهانَةَ والسِّحرا
وقدٌّ هو الغُصنُ الرَّطيبُ كأنَّما ... كسَتْهُ تَلابيبُ الصَّبا وَرَقاً نَضْرا
رَنقتُ على الواشِينَ فيه مَسامِعاً ... طريقُ الرَّدى منها الى كَبدي وَعْرا
أعاذلتي ــ واللومُ لؤمٌ ــ ألم تَرَيْ ... حُشاشَتَي الحرَّى ومُقلتيَ العَبْرى[٦٥٢]
وأذنيَ لا تُصْغي الى متكلِّمٍ ... كأنَّ بها عن كلِّ لائمةٍ وَقْرا
بغِيكَ الثَّرى ما أنتَ والنُّصحُ انَّما ... رأيتُ بعَيْنَيكَ الخِيانةَ والغَدْرا
وما للصَّبا ــ يا ويحَ نَفسي من الصَّبا ... تبيتُ تُناجي طولَ ليلَتها البَدْرا
تُطارحُه ــ والقولُ حقٌّ وباطِلٌ ــ ... أحاديثَ لا تُبقي لمستَودَعٍ سِرّا
وتَلقي على النَّمامِ فصلَ ردائها ... فيعرفَ للاشواقِ في طيِّها نَشْرا

---

(٦٤٩) في سلافة العصر/٣٤١ (ومهون للوجد عندي) .

(٦٥٠) القصيدة في انوار الربيع ٤/١٤١ ؛ وسلافة العصر/٣٤١ ؛ وخلاصة الاثر ٤/٦٨ ؛ ونفحة الريحانة ٢/٣٥٥ ؛ وفي رواية بعض ابياتها اختلاف .

(٦٥١) لا وجود لهذا البيت في (ك) .

(٦٥٢) لا يوجد في (ع) و (أ) والمصادر الاربعة المذكورة آنفاً من هذا البيت غير صدره . ثم الحق به عجز البيت الذي بعده ؛ فلفق منهما بيت واهمل الباقي . ما اثبته عن (ك) .

يُعانقُها خوفَ النَّوى ثمَّ تَنثَني  تمزَّقُ من غَيظٍ على قدكِ الأُزْرا
ألمَّا تَرَيْ بانَ النَّقا كيفَ هذه  تحيلُ بعِطْفَيها حَنوّاً على الأخرى
وكيفَ وشَى غُصْنٌ الى غُصنِ هَوىً  ومن رشأٍ يُوحي الى رَشأٍ ذِكرا(٦٥٣)
هما عَذَلانا في الهَوى غير انَّني  عَذرتُ الصَّبا لو تَقبلِينَ لها عُذْرا
هبيها ـ فَدتكِ النَّفسُ ـ راحَت تَسرُّه  اليها فقد أبدَتْهُ وهي به سَكرى
على أنَّها لو شايَعَتْ كُتُبَ النَّقا  وشِيحَ الخُزامى انَّما حَمَلَتْ عِطرا(٦٥٤)

ومن نظمه الذي هو أبهى من نظم العقود ،وأشهى من سلافة العنقود قوله :

آهِ يا غصنَ النَّقا ما أمْيَلَكْ  جلَّ يا غُصنَ النَّقا من عَدَّلَكْ
قَد قَضَى لي بتَبارِيحِ النجَوى  مَن قَضى بالحُبِّ لي والحُسنِ لَكْ
أكلَ الحبُّ فُؤادي بَعدَ ما  لاكَ منِّي ما تَمنَّى وعَلَكْ
هَلَكَ الشاميُّ وجداً وأسىً  ما يُبالي يا حَياتي لو هَلَكْ
قلَّ لي فيكَ غَراماً وجَوىً  قلَّلَ اللهُ عُذولاً قلَّلَكْ(٦٥٥)
حكم اللهُ لِفَوْدَيَّ على  نُسخَةِ الشَّيبِ وتَسويد الحَلَكْ
أتُراهُمْ قد دَرَوْا أيَّ دَمٍ  هَرَقَ الواشي على تِلكَ الفَلَكْ(٦٥٦)
يا غُرابَ البَينِ لا كنتَ ولا  كانَ واشٍ دَبَّ فيهم وسَلَكْ
أخَذوا منَّا وأعطَوْا ما اشتَهوا  ما كَذا يَحكمُ فينا من مَلَكْ
جُرْتَ في الحُكم على أهلِ الهَوى  لا تَخَفْ فالأمرُ للهِ ولَكْ
ليتَ شِعري أمَليكٌ في الوَرى  أنتَ يا انسانَ عَيني أمْ مَلَكْ
حكمَ الدَّهرُ علينا بالنَّوى  هكَذا تفعلُ أدْوارُ الفَلَكْ

( فلقد راق لي هذا النظم فنظمت عليه وقلت مستعيناً بالله )(٦٥٧) :

آهِ يا حبلَ النَّوى ما أطْوَلَكْ  قطعَ اللهُ زَماناً وَصَلَكْ

---

(٦٥٣) في نفحة الريحانة لفق من صدر هذا البيت وعجز البيت الذي بعده بيت واهمل الباقي .
(٦٥٤) ( شيح الخزامى ) كذا ورد في الاصول ،والمصادر الاخرى عدا انوار الربيع فالذي فيه ( ربح الخزامى ) .
(٦٥٥) في ك ؛ و ا ( عدوا ) مكان ( عذولا ) .
(٦٥٦) الفلك ( بفتحتين ) جمع الفلكة ( بالتحريك ) : قطعة الارض المستديرة المرتفعة عما حولها . في نفحة الريحانة ٤/٣٧٠ ( اتراهم قد راوا ) وجاءالبيت في سلافة العصر /٣٤١ في آخر القصيدة .
(٦٥٧) في ك ( قلت : ولما رايت هذا النظم راق لي فنظمت على روية وقلت : ) .

حُكمتْ بالبُعدِ أسبابُ النَّوى ... وقضى فينا بما شاءَ الفلَكْ[658]

ذبتَ يا قلبُ غليلاً بعدَهم ... وبهم ما كانَ أروى غلَلَكْ

كمْ وكمْ من أملٍ نِلتَ بِهم ... حيثُ لم تقضِ الليَّالي أملَكْ

ليتَ دهراً كانَ أغراكَ هوىً ... بهمُ قد كانَ يوماً عذَلَكْ

أيُّها النَّائي على وَجْدٍ بِنا ... بَعدَ ما حازَ فؤادي ومَلَكْ

أعجَلَ اللهُ زَماناً أعجلَكْ ... أترى ما ضَرَّه لو أمْهلَكْ[659]

ذبتُ واللهِ غَراماً وأسىً ... من فِراقٍ شاكَ قلبي وسلَكْ[660]

هل ترى بَعدَ التَّنائي والنَّوى ... رَجعةً يَحيا بها مَن قد هلَكْ[661]

ان تعُدْ يوماً على حُكم الهَوى ... تَجدِ القلبَ كما قد كانَ لَكْ[662]

وأنشدته يوماً وقد أنشدني شيئاً من شعره.

ما نَقشةُ السِّحرِ الاَّ شِعرُكَ السَّامي ... يا مَن عَلا كلَّ نَسَّارٍ ونَظَّامِ[663]

لأنتَ أفصحُ من لاقيتُ من يَمنٍ ... ومِن شَآمٍ على الاطلاقِ يا شامي

فأجاب بديهة :

رفعتَ يا ابنَ نظامِ الدِّين أعلامي ... نوَّهتَ باسْمي وان كَنَّيتَ بالشَّامي

لم ألتفِتْ في حِماكم بينَ أقوامي ... الاَّ رأيتُ الغِنَى خَلفي وقُدَّامي

ثم كتب اليَّ بهذه الأبيات المعمورة :

خبَّرتنا الحظوظُ أن سوفَ يَحيا ... بعليٍّ مَيْتُ النَّوالِ ويَحيى[664]

فهُما ما هُما من المجدِ غَصْنا ... دَوحةٍ قد زَكَتْ نَماءً وفيَّا[665]

ما بَدا لي أبُوهما التَّدبُ الاَّ ... ورأيتُ الغِنَى يَلوحُ عَلَيَّا

بهمُ يُستَقى الغَمامُ ويُمرى ... دَرُّهُ الجَودُ لا بنَوْءِ الثريَّا

---

(658) في الديوان ( حكم الدهر بأسباب النوى ) .

(659) رواية الديوان للبيت :

عجل الدهر ولم يرفق بنا ... آه يا دهر النوى ما اعجلك

(660) في الديوان ( من فراق لاك قلبي وعلك ) .

(661) في الديوان ( بعد التنائي لهم ) .

(662) في الديوان ( ان تعد يوما على رغم النوى ) .

(663) في ك ( سما ) مكان ( علا ) .

(664) ( يحيى ) هو محمد يحيى اخو المؤلف ؛ تقدم التعريف به .

(665) في ك ( نموا ورقيا ) .

ما رجوتُ النَّوالَ الاَّ اشارَتْ  راحَتا أحمدٍ اليَّ اليَتا
عَلَّمتني هِباتُ أحمدَ كيفَ ال  جُودُ حتى وهَبْتُ ما في يديَّا
عِفتُ حتى المرآة رغبةَ ألاَّ  تُبصِرُ العَينُ غيرَ مرآهُ حَيَّا
حبَّذا أنتمُ مُلوكاً اذا هَبَّتْ شَمال وقامَ سوقُ الحُميَّا

ومن بديع مديحه قوله في الوالد من قصيدة :

وانَّ في الشَّعَراتِ البيضِ لو عَلِمُوا  ثُوراً لعَيْني وثُوَّاراً على عُودي
بيضٌ وسودٌ اذا ما استجمَعا حَسُنا  حُسنَ البَياضِ على أحْداقِها السُّودِ
كم للزمانِ ولا أخشَى بوائقَهُ  من ضِنَّةٍ ولعِينِ المُلكِ من جُودِ(٦٦٦)
عَفَّ الشبيَّةِ مَيمُونُ النَّقيبةِ مَنْ  صُورُ الكَتيبةِ مأمونُ المَواعِيدِ
أخلاقُ أحمدَ في تَقوَى أبي حَسَنٍ  وحسنُ يُوسفَ في مُلكِ ابن داوُدِ
لا يَحسُنُ الشعرُ الاَّ في مَدائِحِهِ  كالدُّرِّ أحْسَنَ ما يَبدُو على الجِيدِ

ومما انشدنيه لغيره قول السيد أحمد الصفوي الدمشقي(٦٦٧) :

صَبٍّ يا حامُ فلستَ المُشفِقَ  ولا باتَ حالُكَ فيها كحالي
فَما مَن تَباكى كما مَن بَكى  ودمعُ الأسَى غيرُ دَمعِ الدَّلالِ(٦٦٨)

قلت : وهو من قول مهيار الديلمي(٦٦٩) :

أبْكي وتَبكي غيرَ انَّ الأسَى  دمُوعُهُ غير دمُوعِ الدَّلالْ

وأنشدني لصدقة الشامي :

في خَدِّهِ عِرقٌ بَدا  ذا حُمرَةٍ لصَفائِهِ
هذا يُصَدِّقُ قولَهم  الماءُ لونُ إنائِهِ

وأنشدني للأمير الخطير ، والهمام الكبير الأمير منجك(٦٧٠) :

دُنوّاً فقَد أوهَى تجلُّدِيَ البُعدُ  ووَصْلاً فقد أدْمَى جَوانحي الصَّدُّ

---

(٦٦٦) في ك ( من طعنة ) مكان ( من ضنة ) .
(٦٦٧) ( الصفوي ) كذا ورد في الاصول ، وانوارالربيع . وفي سلافة العصر ( الصفدي ) . ولعله السيد احمد بن السيد علي الصفوري المتوفى سنة ١٠٤٣هـ ، او احمد بن محمد الصفدي المتوفى سنة ١١٠٠هـ ( يراجع انوار الربيع ٤/١٧٠ ونفحة الريحانة ١/٤٠٩ ) .
(٦٦٨) ( كما من بكى ) كذا ورد في ع ؛ وسلافةالعصر ، وفي ك ، و ا ؛ وانوار الربيع (كمن قد بكى) .
(٦٦٩) هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي . توفي سنة ٤٢٨هـ ( انوار الربيع ١/٤٢ ) .
(٦٧٠) هو الامير الشاعر منجك بن محمد بن منجك . توفي سنة ١٠٨٠هـ ( معجم المؤلفين ١٣/٨ ) .

أجنّ غَراماً فيكَ خِيفَةَ كاشحٍ ومِن مَدمَعي وَدْقٌ ومن كبَدي وقْدُ
وبِي فوقَ ما بِالنّاسِ من لاعجِ الهوى ولكنْ أبى نْ يَجزَعَ الأسدُ الو رْدُ
فيا مَن يَبينُ الرُّشدُ فيمنْ احِبُّهُ متَى يَلتَقِي الحبُّ المبرِّحُ والرُّشدُ
تَلاعبتُ بالأشْواقِ حتى لَعِبْنَ بي وماكنتُ أدْري أنّ هَزلَ الهَوى جِدُّ
بُليتُ بقاسٍ لا يَرِقُّ فُؤادُهُ عليَّ وها قا. رَقَّ لي الحَجر الصَّلْدُ
أعاني بِه ما يُعجزُ الدّهرَ بَعضُهُ وأحملُ ما نَدّ كلَّ عن حَملِهِ الجَهْدُ
وأدفعُ عنهُ النّفسَ وهي عَصِيَّةٌ
وهَلْ يُمكنُ الظَّنُّ عَن موَرْدٍ رَدُّ(٦٧١)

اذا جِئتُه يَوماً لبَثَّ شَكِيَّةٍ أروحُ بأشجانٍ على مثلِها أغْدو
تهدِّدُني من مُقلتَيْهِ اذا رَنا قواضِبَ مه يَطبَعُ الكُّ لا الهِنْدُ
حِدادٌ يلوحُ الموتُ في صَفَحاتِها مَواضٍ لها في كلِّ جارِحةٍ غِمدُ
اشاقُ اذا ما عَنَّ في القلبِ ذِكرُهُ أطرَبُ ما بتَّ اللِّسانُ بِه يَشدو

ومنهم السيد الجليل ، الأيّد المثيل(٦٧٢) ،المتفرع من دوحة الرسالة والنبوة ، المترعرع من سرحة البسالة والفتوة،ثورُ حدقة الفضل والسيادة نَوْرُ حديقة المجد والسعادة ، ذو الجلالة التي شاع صيتها في الآفاق ، والإبالة(٦٧٣) التي انعقدعليها الاجماع والاتّفاق . السيد الشريف ، السند الحنيف : عمّار بن الملك الحي ، ولقد كان يجمعني واياه مجلس و لدي فنتلاقى ملاقاة الأجسام والارواح ، وتتصافى مصافاة الماء والراح ، وهوكهل شبّت بلطرف(٦٧٥) شمائله ، وزرّت على شخص العرف غلائله . يغدو ويروح بجسم كلّه روح . وقد رأيت جماعة من أبناء جنسه فلم أرَ من يدانيه في جوده وبأسه . أمّا جوده فضرّة البحار ، وأمّا بأسه فأشهر من الشمس في رائعة النهار ، وناهيك بمن تحدّر من سلالة أكابر ،ورُقاه أسرّة ومنابر ، وربّما كانت تجمعنا حلبة أدهم وكميت ، أو بيت شعر لم يتحكّم عليه لو،ولاليت ، فننتقل من متن جواد الى شرح بيت ، ولا أنسى قوله وقد سابقته قبل موته بأيّام قلائل غدت لفوته ولم يدر أنّ المنايا تسابقه ، وغمرها السابح(٦٧٦) لاحقه ، تحته مهر كلف به كلف أبي محجن(٦٧٧) بالعميّا ، أو ابن أبي ربيعة(*)

---

(٦٧١) في ك ( عن ورده ) مكان ( عن مورد ) .
(٦٧٢) الايّد : القوي . المثيل : الفاضل . في ك( الفاقد المثيل ) .
(٦٧٣)الابالة ( بكسر الهمزة وتسهيل الباء اوتشديدها ) : السياسة .
(٦٧٤) توفي الشريف عمار بن بركات سنة ٦٩ ١هـ( سلافة العصر/ ٢١ ) .
(٦٧٥) في ك ( شبت عن الطوق ) .
(٦٧٦) الغمر : الفرس الجواد . السابح : السريع الجري . في ك ( لسابق ) مكان ( السابح ) .
(٦٧٧) هو ابو محجن الثقفي عمرو بن حبيب . توفي سنة ٣٠هـ ( الاعلام ٥/٢٤٣ ) .

بمحبوبته الثريا • قريب الرياضة سريع الافاضة،فقال لي وهو يركضه : ان هلك فمنك عوضه ، فكان هو الهالك ، ولو أمكن لكنت عوضه من المهالك • وله شعر يفعل بالألباب فعل السحر ، أثبت منه أحلى من جني النحل ، وأجدى من ندى القطر في البلد المحل • فمن ذلك قوله وهو مما كتبه الى الوالد :

زرتُ خِلاً صَبيحةً فعَباني ... بسؤالٍ أشفَى وأرغَم شاني[٦٧٨]
قالَ لما نظرتُ نورَ مُحيَّا ... هُ ونلتُ المُنى وكلَّ الأماني[٦٧٩]
كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسَيْتَ مِمَّا ... يُنبتُ الحبُّ في قلوبِ الغَواني
فتحرَّجتُ أن أفوهَ بما قد ... كانَ منّي طَبْعاً مَدى الأزمانِ
يا أخا المَجدِ والمكارِمِ والفَضْـ ... ـلِ ومَن لا أرى لهُ اليومَ ثاني
أدرِكْ ادْرِكْ متيّماً في هواكم ... قبلَ تسطُو بهِ يدُ الحِدْثانِ[٦٨٠]
وابقَ واسلمْ منعَّماً في سُرُورٍ ... ما تغنَّت وُرْقٌ على غُصنِ بانِ

فأجابه الوالد بقصيدة طنانة مطلعها :

ليت شعري متى يكون التداني ... من بلاد بها الحسان الغواني

يقول فيها :

كلماتٌ لكنَّها كالدَّراري ... وسُطورٌ حَوَتْ بَديعَ المعاني
قد أتَتْ من أخٍ شَقيقِ المعالي ... فائقِ الأصلِ غرَّةٍ في الزَّمان
صافيَ الودِّ صافيَ القَلبِ قَرْمٍ ... كعبُهُ قد علا على كيوانِ[٦٨١]
ذاكراً فيهما تَزايُدَ شَوقٍ ... ووُلوعاً بهِ مَدى الأزْمانِ
فَفَهمتُ الذي نحاهُ ولكنْ ... ليتَ شِعري يَدري بما قد دَهاني
أنا قيسٌ في الحبِّ بل هو دُوني ... لا جَميلٌ حالي ولا نَجلُ هاني[٦٨٢]
يا أخا العَزمِ ــ قد سَلِمتَ ــ فوجدي ... طافحٌ زائدٌ بغيرِ تَوانِ
فَلِحَتْفي أبصرتُ مَن قد رَماني ... وعناءٌ تَصَيُّدُ الغِزْلانِ

(٦٧٨) اشفى : اهلك . شاني : شانيء .
(٦٧٩) في ك ( ونلت المنى به والاماني ) .
(٦٨٠) في سلافة العصر/٣٣ ( واكففن عنه صولة الحدثان ) .
(٦٨١) في ك ( خالص الود خالص القلب ) وفي سلافة العصر/٣٤ ( كعبة المجد في ذرى كيوان ) . وفي نفحة الريحانة ٤/٣٤ ( كعبة قد علا ) .
(٦٨٢) في سلافة العصر ، ونفحة الريحانة ( ولا كابن هاني ) .

انْ تَشا شَرحَ حالَ صَبٍّ كئيبٍ  فلقد نالَه بَديعُ البَيانِ[٦٨٣]
( مَرضي من مَريضةِ الأجفانِ  عَلَّلاني بذكرها عَلَّلاني )[٦٨٤]

وكنت اول دخولي هذه البلاد كتبت اليهبقصيدة ضمّنتها التبرم من الاغتراب والبعاد ، أقول فيها من المديح :

أرَى فؤادي وان ضاقَتْ مسالكُه  بمَدح نَجلِ رسولِ اللّه جَذْلانا
عمَّارُ أبنِيَةِ المجدِ الذي رَفَعَتْ  آباؤه النُّورُ من نادِيه أرْكانا
السَّيدُ الماجد النَّدبُ الشَّريفُ ومن  عَلا عَلى ذُرْوَةِ العَلْياءِ مُذْ كانا[٦٨٥]

فأجابني بقصيدة أولها :

يا مَن تذكَّرَ حلاًّ وجِيرانا  وصارَ يُمسِي سَمير النَّجم سَهْرانا
صادٍ الى مَوردٍ قد كان يالفُه  عَذبٍ به يَشتَفي من كانَ وَلّهانا
له به مرتعٌ طابَتْ مواردُهُ  واليومَ بالهندِ يا للّهِ ما حانا
يا ماجِداً حازَ سَبْقاً في القَريض وفي  نَهج البَلاغةِ حتى فاقَ أقرانا
أحسنتَ لا زلتَ في أمْنٍ وفي دَعةٍ  جزاكَ ربُّكَ بالاحسانِ احسانا
وحقِّ جدِّكَ انَّ العينَ في غَرقٍ  والقلبَ في حُرقٍ وَجْداً لما آنا
عليكَ بالصَّبرِ يا مولايَ مُعْتصِماً  انَّ التَّقيسَ غَريبٌ حيثُما كانا
كذا اللَّيالي عَهِدْناها مُبدِّلةً  بالقُربِ بُعداً وبَعد الوصلِ هِجْرانا
فلا رأيتَ مَدى الأيَّام حادِثَةً  من الزَّمانِ ولا هَمّاً وأحْزانا

ومنها :

قد ضاقَ صَدري بما أبدَيْتَ من كمدٍ  من لاعجِ البَينِ ليتَ البَينَ لا كانا
لكنَّ لي أمَلاً في اللّه خالِقِنا  وحُسنُ ظنّي مَتى تَدعُوه أوْلانا
أنْ يَجمَعَ الشَّملَ في تلكَ البِقاعِ وأن  يَروي غليلَ صَدٍ ما زالَ حَرّانا[٦٨٦]
بحقِّ آبائكَ الغُرِّ الكرامِ ومَن  غَدوا لنا عن جَميع النَّاسِ أعْوانا[٦٨٧]

---

(٦٨٣) في ك ، و ا ( بديع الزمان ) وفي سلافة العصرونفحة الريحانة ( بديع الاماني ) .
(٦٨٤) في نفحة الريحانة ( عللاني بوصلها ) . قال المؤلف في كتابه سلافة العصر / ٣٤ : هذا البيت مطلع قصيدة لمحيي الدين بن عربي ، واوردبعده ثلاثة ابيات . توفي ابن عربي سنة ٦٣٨هـ (معجم المؤلفين ١١/٤٠ ) .
(٦٨٥) رواية الديوان لعجز البيت هكذا ( قد بذ بالفضل اكفاءا واقرانا ) .
(٦٨٦) ورد عجز البيت في ك كالاتي ( نرى هنالك اخوانا واخدانا ) .
(٦٨٧) في سلافة العصر ( دون كل الناس اعوانا ) . ولا وجود للبيت في ك ، و ا .

ومن شعره قوله مذيّلاً بيت أبي زمعة[٦٨٨] جدّ أمية بن أبي الصلت ومادحاً الوالد :

( اشرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفِقاً ... في رأسِ غمدانَ داراً منكَ محلالا )
تسعى اليكَ بها هيفاءُ غانيةٌ ... ميّاسةُ القدِّ كحلا الطرفِ مكسالا
اذا تثنّت كغصنِ البانِ من ترفٍ ... وانْ تجلّت كبدرٍ زانَ تمثالا[٦٨٩]
كأنّها ـ وأدام اللهُ بهجتَها ـ ... تكوّنتْ في محيّا دهرِنا خالا[٦٩٠]
وكيفَ لا وهيَ أمستَ فيه ساجبةً ... بخدمةِ السيّدِ المفضالِ أذيالا
ذاكَ الذي جلّ عن تنويهِ تسميةٍ ... شمسٌ علتْ هل ترى للشمسِ أمثالا
الباسمِ الثغرِ والأبطالُ عابسةٌ ... والباذلُ المالَ لم يثنِهِ أنكالا
عارٍ من العارِ كاسٍ من محامدِهِ ... لا يعرفُ الخلفَ في الأقوالِ ان قالا
انْ قالَ أفحم ندبَ القومِ مقولُهُ ... أوصالَ أخجلَ ليثَ الغابِ انصالا[٦٩١]
علا به النسبُ الوضّاحُ منزلةً ... عن أن يماثلَ إعظاماً واجلالا
خذْها رَبيبةَ فكرٍ طالما حجبتْ ... لولا علاكَ وودٌّ قطُّ ما حالا
واسمحْ بفضلكَ عن تقصيرِ منشئِها ... وحسنُ بِشرِكَ لم يبرحْ لها فالا[٦٩٢]
ثم الصلاةُ على أزكى الورى نسباً ... وآلهِ العشرِ تفصيلاً وإجمالا

قلت : ولقد رأيت هذا المادح ساحباً أذيال العزّ والجلال بحضرة ممدوحه هذا السيّد المفضال وقد أنزله بأعزّ مكان ، وأحلّه محلّ ابن ذي يزن في رأس غمدان . حتى وعده بوعد شام من وميض بارقة السعد . فلم يلبث أن استوفى ملء مكياله ، وأهابت به دواعي آجاله ، فوافت المسكين منيّته قبل أن تقضى أمنيّته . وهكذا خلق الدهر العُرام[٦٩٣] . وكم حسرات في نفوس كرام . وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر بقين من شوال سنة تسع وستين وألف ، روّح الله روحه ، ونوّرَ برحمته ضريحه ، وقلت أرثيه :

لنا كلَّ يومٍ رنّةٌ وعويلُ ... وخطبٌ يكلُّ الرأيُ وهو صقيلُ
بكيتُ لو انّ الدمعَ يرجعُ ميّتاً ... وأعولتُ لو أجدى الحزينَ عويلُ

---

(٦٨٨) القول بانه لابي الصلت والد اميّة اشهر ، وسيرد بيان ذلك .
(٦٨٩) في ك ( منعطفا ) مكان ( من ترف ) .
(٦٩٠) في ك ( عصرها ) مكان ( دهرنا ) ، وورد عجز البيت في نفحة الريحانة ٤/٣٠ ( شمس على فلك اشراقها طالا ) وفي خلاصة الاثر ٣/٢٠٦ (ظبي رنا فسبى قيها وادلالا ) .
(٦٩١) في ك ( ان قال افحم طلق القول مقوله ـ اوجال . . . ) .
(٦٩٢) في سلافة العصر ( واصفح ) مكان ( واسمح ) و ( لم يبخس ) مكان ( لم يبرح ) .
(٦٩٣) العرام ( بالضم ) : الشرس .

نحا اللهُ دهراً لا تزال صروفُه ... تقولُ علينا دائماً وتقولُ[٦٩٤]

سلامٌ وفيما قد أصابَ مقاتلي ... وغادرَني هامي الدموعَ أعولُ[٦٩٥]

وحملني خطباً تضاءلتْ دونَه ... وما أنا قِدماً للخطوبِ حمولُ[٦٩٦]

بسوتِ كريمٍ ماجدٍ وابنِ ماجدٍ ... له العزُّ دارٌ والعلاءُ منيلُ

فتىً قد عنتْ يومَ الهياجِ له القنا ... وراحَ الحمامُ العقبِ وهو ذليلُ[٦٩٧]

بكاهُ الفتى الخثعميُّ علناً بنثِّه ... كثيرٌ وانَّ المشرفيَّ كليلُ

فمَن للعوالي بعدَ كفَّيهِ والندى ... ومَن في سفوفِ النائكينَ يجولُ

ومِن بعدَه للسيفِ والضيفِ والعلى ... ومَن بعدَه للكرماتِ كفيلُ

ربيبُ علاءٍ شحَّ الزمانُ بمثلِه ... وكلُّ زمانٍ بالكرامِ بخيلُ

ولما نعى النَّاعي به ضاقَ بي الفضا ... وراحتْ دموعي الجاحداتُ تسيلُ

وهيهاتَ أن تأتي النساءُ بمثلِه ... ويخلفُ عنه في الأنامِ بديلُ

سأبكيكَ يا عمَّارُ ما ناحَ طائرٌ ... وما ندبتْ بعدَ الرحيلِ طلولُ

مصابي وان طوَّلتُه عنكَ قاصرٌ ... ودمعي وان أكثرتُ فيكَ قليلُ

سلكتَ وأسلكتَ الأسى في حشاشتي ... ممرَّ سبيلٍ ما سواهُ سبيلُ

لكَ اليومَ في قلبي مكانَ مودَّةٍ ... وودادُكَ فيه ما حييتُ نزيلُ

فانْ هاطلاتُ السحبِ سحَّتْ بسقيها ... سقاكَ من الجثن القريح هطولُ[٦٩٨]

عليكَ سلامُ اللهِ مني تحيَّةً ... مدى الدهرِ ماغالَ البريَّةَ غولُ[٦٩٩]

وبيت أبي زمعة الذي ذيّله السيد المذكورهو من قصيدة له يمدح بها معديكرب بن سيف بن ذي يزن[٧٠٠] لما انتقذ ملك اليمن من الحبشةبالجيوش التي بعثها معه كسرى ، وجاءه الوفود من العرب تهنئه ، وفيهم عبدالمطلب بن هاشم بنعبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب ، وأبو زمعة المذكور ، فدخلواعليه وهو في أعلى قصره المعروف بغمدان بمدينة

(٦٩٤) في الاصول ( لم يزل متشتتا ـ بطول )والتصويب من الديوان . تعول : تجور .

(٦٩٥) في ك ( وغادر قلبي بالدموع بسيل ) .

(٦٩٦) في ك ( وحملني خطبا يؤد بيذبل ) .

(٦٩٧) في ك ( فتى اذعنت ) .

(٦٩٨) في ك ( فان بخلت سحب الغمام بسقيها ) .

(٦٩٩) في ك ( مدى الدهر ما هبت صبا وقبول ) .

(٧٠٠) هذه رواية مروج الذهب ٢/٨٤ . اما سائر المصادر الاخرى كالطبري ٢/١٤٧ والشعر والشعراء ٢٧١/ ، والعقد الفريد ٢/٢٣ انها لابي الصلت والد امية . وفي سيرة ابن هشام ١/٦٥ ( وتروى لامية بن ابي الصلت ) وكلهم متفقون على كونها في مدح سيف بن ذي يزن .

صنعاء . وهو مشمّخ بالعبير وسواد المسك يلوح في مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، وأبناء المقاول[٧٠١] . فتكلّمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدّمهم عبدالمطلب بن هاشم فقال :

أن الله جلّ جلاله قد أحلّكَ أيّها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك نباتاً حسناً طابت أرومته . وعزّت جرثومته ، وثبت اصله وبسق فرعه في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت — ابيت اللعن — رأس العرب وربيعها الذي يخصب ، وأنت أيّها الملك ذروة العرب التي اليها تنقاد ، وعمودها الذي عليه[٧٠٢] العماد ، ومعقلها الذي تلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزأة . فقال له الملك : وأيّهم أنت أيّها المتكلّم ؟ قال : أنا عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف . قال : ادن ، فدنا . ثم أقبل عليه وعلى الوافدين فقال لهم : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً ربحلاً ، يعطي عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم . فأنتم أهل الليل وأهل النهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم . ثم قام أبو زمعة جدّ أمية ابن أبي الصلت فأنشد[٧٠٣] :

ليَطلب الوِترَ أمثالُ ابن ذي يَزَنٍ ... ريّمَ في البَحرِ للأعداءِ أحْوالا[٧٠٤]
أتى هِرَقْلَ وقد شالَتْ نَعامتُهَ ... فلم يَجِدْ عندَه النَّصر الذي سالا
ثم انتهى عندَ كِسْرى بعدَ تاسعةٍ ... من السِّنينَ يُهينُ النَّفسَ والمالا
حتّى أتَى ببَني الأحرارِ يَحملُهُمْ ... تَخالُهم فوقَ مَتنِ الأرضِ اجْبالا
مَن مثلُ كِسْرى شَهِنْشاهِ الملوكِ له
| أو مثلُ وهْرِزَ يومَ الجَيشِ اذْ صالا ][٧٠٥]
للّهِ درُّهُم من فِتيةٍ صُبُرٍ ... ما إن رَأيتَ لهم في النَّاس أمثالا
بِيضٌ مَرازِبةٌ غُلبٌ جحَاجِحَةٌ ... اسْدٌ تربِّبُ في الغَيْظاتِ أشْبالا
يرمُون عن شُدُفٍ كأنّهنّ غُبُطٌ ... في زَمْخَرٍ يُعجِلُ المَرْميَّ إعجالا[٧٠٦]

---

(٧٠١) المقاول ، جمع المقول ، وهو بلغة اهل اليمن . القيل ( بالفتح ) وهو هنا : الرئيس الذي هو دون الملك .
(٧٠٢) في ع و ك ( اليه ) مكان ( عليه ) والمثبت من ( ا ) وهو موافق لرواية مروج الذهب .
(٧٠٣) في رواية الشعر اختلاف بين المصادر المذكورة ، وبينها وبين المثبت هنا .
(٧٠٤) ريّم بالمكان : اقام فيه .
(٧٠٥) ورد عجز البيت في الاصول محرف هكذا ( مثل وهذا بزم الجيش ارسالا ) والتصويب من الطبري .
(٧٠٦) الشدف ( بضمتين ) جمع الشدفاء : القوس العوجاء . الغبط ( بضمتين ) جمع الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج ، او رحل قتبه واحناؤه واحدة . والزمخر : الشديد . في الاصول ( شدف ) مكان ( شدف ) وفي ع ( بزمخر ) وفي ك ( من مجرف ) مكان ( في زمخر ) والتصويب من الطبري وابن هشام .

لا يَضجرُونَ وان كلَلْتَ بوارقُهم ... ولا تَرى منهمُ في الطَّعنِ مَيَّالا
أرسلتَ أُسْداً على سُودِ الكِلاب فقد ... أمْسى سَريدُهمُ في الأرضِ هُلْلالا
فاشرَبْ هَنيئاً عليكَ التاجُ مُرتَفِقاً ... في راسِ غُمْدانَ داراً مِنكَ مِحْلالا[٧٠٧]
ثمَّ اغْلِ المِسْكَ اذ شالَتْ نعامتُهم ... وأسْبِلِ اليومَ من بُرْدَيْكَ إسْبالا
تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

وواقعة ابن ذي يزن وذهابه الى قيصر ،وعوده الى كسرى لمّا لم ينجده قيصر ، وانجاد كسرى له ، ومحاربته للحبشة مشهورة ومسطورةفي كتب التواريخ ، فمن أحبّ الوقوف عليها فليطلبها من مظانها .

وكنت كتبت الى الوائد في يوم بُسط فيهبساط السرور،ونُشرت به مطارف الأنس والحبور واكتنفه الانبساط والهنا ، وحفّ به ابشر من هناوهنا ، ا والدست مملوء بسنى طلعته )[٧٠٨] الشريفة ، والوقت مكلوء بعليا رتبته المنيفة ،وقد عمرت المغاني برنّات الأغاني :

(اشْرَبْ هَنيئاً عليكَ التاجُ مُرتفِقاً) ... بصوتِ شادٍ ودَعْ شاذاً وغُمدانا[٧٠٩]
إن كانَ أبْسَتِ العَليا ابنَ ذي يَزنٍ ... تاجاً فقد ألبَسَتْكَ اليومَ تِيجانا

وعلى ذلك حكى أبو نصر بن خاقان في كتابهقلائد العقيان في ترجمة المعتمد بن عبّاد قال : أخبرني أبن اقبال [ الدولة ][٧١٠] أبن مجاهد :انه كان عنده في يوم قد نشر من غيمة رداء ندٍ ، واسكب من قطره ماء ورد ، وأبدى من برقه لسانذار، وأظهر منقوس قزحه حنايا آسحفّت بنرجس وجلنار ، والروض قد نفث ريّاه ، وبثّ الشكرلسقياه ، فكتب الى الطبيب الأديب [ أبي ][٧١١] محمد المصري :

أيُّها الصَّاحِبُ الذي فارَقَتْ عَيْـ ... ـني ونَفسي منه السَّنى والسَّناءَ
نحنُ في المجلسِ الذي يَهَبُ الرَّا ... حةَ والمَسْمَعَ الغِنى والغِناءَ
نَتَعاطى التي تُنَمِّي من الرقَّة والحِدَّةِ الهَوى والهواءَ
فأتِ بِتُلفِ راحةً ومحيّاً ... قد أعدَّا لكَ الحَيا والحَياءَ

---

(٧٠٧) لا وجود لهذا البيت في ( ك ) .
(٧٠٨) في ك ( والدهماء منيرة بسنى طلعته ) .
(٧٠٩) شاذ : تخفيف شاذياخ وهي بستان فيهاقصر لعبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، وفي ذلك اشارة الى بيتين مدح بهما عبدالله بنطاهر سيذكرهما المؤلف بعد قليل .
(٧١٠) زيادة من قلائد العقيان / ٤ .
(٧١١) زيادة من قلائد العقيان،ونفحالطيب٤/٢٨١.

فوافاه والفى مجلسه قد [ اتلعت ][٧١٢] ،أباريقه أجيادها ، وأقامت فيه خيل السرور طُرادها وأعطته الأماني انطباعها وانقيادها ، وأهدت الدنياليومه مواسمها وأعيادها ، وخلعت عليه ، [ الشمس ][٧١٣] شعاعها ونشرت فيه الحدائقأيناعها ، فأديرت الراح ، وتعوطيت الاقداح ،وخامر النفوس الابتهاج والارتياح . وأظهر المعتمدمن ايناسه [ ما استرقّ ][٧١٤] به النفوس جلاسه . ثم دعا بكبير فشرب به كالشمس عُربت في ثبيروعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتاً تمثلها :

اشرَبْ هَنيئا عليكَ التاجُ مُرتَفِقاً  بشاذِ مَهْرَ ودَعْ غُمدانَ لليَمَنِ
فأنتَ أولَى بتاجِ المُلكِ تَلبَسُه  من هَوْذَةَ بنِ عليٍّ وابنِ ذي يَزَنِ

فطرب حتى زحف من مجلسه ، وأسرف فيتأتّه ؛ وأمر فخلع عليه خلعة لاتصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الأكفاء ، وأمر لهبدنانيرعدداً ، وملأ بالمواهب له يداً . انتهى .

قلت : ووقفت في كتاب العقد لأحمد بنعبدربه القرطبي أن البيتين الذين انشدهما المصري لشاعر من أهل الري يقال له أبو زيد ؛ دخل علىعبدالله بن طاهر[٧١٥] صاحب خراسان ، فأنشده إيّاهما ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ومن غريب ما يحكى عن عبدالله بن طاهرالمذكور ، ما ذكر أحمد بن اسرائيل السلمي قال : كنت مع طاهر بن الحسين بالرقة وأنا أحد قوادهالمختصّين به ؛ فخرج علينا يوماً ومشينا بين يديه ، وهو يتمثّل هذه الابيات[٧١٦] :

عَليكُم بدارِي فاهدِموها فانّها  تراثُ كَريمٍ ليسَ يَخشى العَواقِبا
اذا همَّ ألقَى بينَ عَينَيْه عَزمَه  وأعرَضَ عن ذكرِ العَواقبِ جانِبا
سأغسِلُ عنّي العارَ بالسَيفِ جالباً  عليَّ قضاءُ اللّهِ ما كانَ جالبا

قال : فدار حول الرافقة[٧١٧] ثم رجع فجلس فنظر في قصص ورقاع، ووقع فيها بصلات أُحصيت فكانت ألف ألف درهم . فلما فرغ نظر اليَّ مستطعماً[٧١٨] الكلام فقلت : أصلح الله الأمير ما رأيت أنبل من هذا المجلس وأحسن ، ودعوتله ثم قلت : لكنّه سرف، فقال: السرف من الشرف،

---

(٧١٢) في ع و ك ( ابلعت ) وفي ا ( المعت ) والتصويب من قلائد العقيان ونفح الطيب .
(٧١٣) في الاصول ( الشموس ) والتصويب من المصدرين المذكورين .
(٧١٤) في الاصول (ما استقر) والمثبت من المصدرين المذكورين .
(٧١٥) من الامراء الاجواد كان مقدما عند المامون . توفي سنة ٢٣٠هـ ( انوار الربيع ١/١٥١ ) .
(٧١٦) الابيات من قصيدة لسعد بن ناشب من بنى مازن بن عمرو بن تميم شاعر اسلامي ؛ وهي في شرح الحماسة للمرزوقي ١/٦٧ ، والعقد الفريد٣/١٤ وفي روايتها وترتيبها اختلاف .
(٧١٧) الرافقة : بلد متصل بالرقة على ضفة الفرات.
(٧١٨) استطعمه الحديث : سأله ان يحدثه .

فأردت أن أذكر الآية التي فيها «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا»[٧١٩] فجاءت الآية الأخرى « أنه لا يحبّ المسرفين »[٧٢٠] ، فقال لي : صدق الله العظيم وما قلنا فكما قلنا • قال : ثم ضرب الدّهر ضربانه حتى اجتمعنا مع ابنه عبدالله في ذلك القصر بعينه ، فخرج علينا راكباً يتمثّل[٧٢١] :

يا أيُّهـــا المتَمنّي أن يكـونَ فتىً  مثلَ ابنِ لَيلَى فقد خَلَّى لك السُّبُلا
انظُـــر ثَلاثَ خِـلالٍ قَـــد جَمِعنَ لـه
هَـل سَبَّ من أحَـدٍ أو سُبَّ أو بخـــلا[٧٢٢]

ثم دار حول الرافقة ، ثم انصرف وجلس مجلسه وحضرناه ، واحضرت رقاع وقصص فجعل يوقع فيها وانا احصي حتى بلغت صلاته الفي الف وسبعمائة الف . ثم التفت اليّ مستطعماً الكلام ، فدعوت له وحسّنت أفعاله فقلت نعم أعزّ الله الأمير ، المرف من الشرف ، وكررتها • فقال : لم كرّرتها ؟ فقلت أني كنت أسقطت[٧٢٣] عندذي اليمينين[٧٢٤] وقصصت عليه القصّة فما زال يضحك ويتعجب •

**رجع** : ومنهم شيخ الاسلام ، وعلاّمة العلماء والأعلام ، مالك زمام الفضائل ، مرجع سائر الأفاضل ، ذو الخصال التي تميّز بها عن الأعيان والخلال التي عزت عن أن تعزّ بثان ، رافع رايات الشريعة الشريفة ، وحافظ آيات الذريعة المنيفة ، من تطابقت على فضله الألفاظ والمعاني ، وبلغت به العلوم منتهى الآمال وغايات الأماني : شيخنا ومولانا جعفر بن كمال الدين بن محمد بن سعيد بن ناصر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن سليمان بن عيسى البحراني :

هـو طَـودُ عِلمٍ لا يُبارى رِفعَـةً  ومحيطُ فَضلٍ لا يَزالُ مَديدا[٧٢٥]
عَلَـمٌ اذا جارَتْ صَـوائبُ غَيرِه  أبْدى لنـــا رأياً لَدَيْـــه سَدِيدا
أحيـــا رِباعَ المكرُمـاتِ بفَضْلِه  مِن بعدِ أن كانَت مَهامِـهَ بِيـدا
واليه ألقَى الفَضلُ صَعبَ زِمامِـه  ودّنا لـــه طَوْعاً وكانَ بَعِيـــدا
كم حُجّةٍ في الخَلقِ شـاد عِمادَها  كَرْهاً وارْضى العَدْلَ والتَّوحِيـدا

---

(٧١٩) الآية ٦٧ من سورة الفرقان .
(٧٢٠) الآية ١٤١ من سورة الانعام ، والآية ٣١ من سورة الاعراف . في الاصول ( ان الله لا يحب المسرفين ) وهو من اوهام النسخ .
(٧٢١) الشعر لمحمد بن بشير بن بشير من بني خارجة ( ترجمته في الاغاني ٦١/١٦ ) .
(٧٢٢) في الاغاني ( اعدد ثلاث خصال قد عرفن له ).
(٧٢٣) اسقطت : اخطأت . في اساس البلاغة اسقط في كتابه وحسابه : اخطأ .
(٧٢٤) ذو اليمينين : طاهر بن الحسين الخزاعي ، توفي سنة ٢٠٧هـ ( الاعلام ٣٤٨/٣ ) .
(٧٢٥) جاء في حاشية ع بقلم الناسخ ما نصه ( الابيات للمؤلف ) ولا وجود لهذه الاشارة في (ك) ، ( ا ) .

لازالت كواكب هدايته تعمّ بضيائها الوجودوفرائد فوائده تخجل بنظامها جواهر العقود • ولعمري انّه الامام الذي كشف قناع الفضائلوأوضح لها سبيلا ، والهمام الذي ارتشف من كؤوس المكارم كأساً مزاجها زنجبيلا •

قدم علينا الهند في سنة تسع وستين فعلقتمنه يداي بالحبل المتين وقد أودعت من أنفاسه رحلتي ما أعده من نفائس نحلتي •

فمن ذلك ماكتبه لي بخطّه الشريف في بعضتذاكري ، وقال لي لسان قلمه : كن شاكري :

وقائلةٍ سَمِعنا انّ بَكراً ... له فضلٌ على عَمْرٍو وزَيدِ
فقلتُ لَها سَماعُكِ ليس شَيْئاً ... وهذا مثلُ تَسمَعُ بالمُعَيْدي

ولا يخفى أنّ هذا التعريض عِقد للبّةالتقريض ، وصريح عند ارباب البلاغة أنّه أعلى من التصريح • ثم هذا التلميح هو ما أجمع عليه أربابالبديع أنه المليح • ومن نفائس حكمه قوله :

إن تَرِدْ إيلادَ مَن زُوِّجْتَه ... فاتَّخِذْ وفّقْتَ زَوجاً صالحا[٧٢٦]
انّ ماءَ المُزنِ عذبٌ طعمُهُ ... فاذا أسْبَخَ أضحى مالِحا

ومن بدائع معانيه التي أعيت على المعنيّ بالأدب ومُعانيه قوله في تعزّ : قرية من أعمال اليمن . وكان قد اجتمع بواليها السيد يحيى بنمحمد بن القاسم الزيدي ، فأحله بناديه ، وأوجب عليه شكر أياديه :

تَعِزُّ دارٌ تناهَتْ في مَحاسِنِها ... فليسَ يُوجَدُ في الدُّنيا مُضارِعُها
وحيثُ كانَ الفَتى يَحيى العزيز بها ... عَزَّتْ فصارتَ على الماضي مُضارِعُها[٧٢٧]

وكان قد عرض عليّ نسخة من اللّبابفأعدتها عليه وكتبت اليه :

يا أيُّها المَولى الذي ... أضْحى بمَجْدٍ مُستَطابِ
ما كانَ ردّي لِلكتا ... بِ وحقّ فَضلِكَ والكتابِ
الاّ لِعلمِكَ انّه ... قِشرٌ وسُمّيَ باللُّبابِ
فاصفَحْ بفَضْلِكَ عن فَتىً ... قد ضَلّ في لَيلِ الشَّبابِ
والشَّيخُ أولى من عَفا ... عَن ذَنبِ غِرٍّ في التَّصابي[٧٢٨]

---

(٧٢٦) في ك ( ان ترد من زوجة ايلادها ) .
(٧٢٧) سقط هذا البيت من ( ك ) .
(٧٢٨) سقط هذا البيت من (ع) .

فأجاب وأجاد :

يا ماجِـــداً في شِمْـــرِه ... قـــد جاءَ بالعَجبِ العُجـابِ
أنّـــى لِمِثْلـي يَســـتَطِيـ ... ـعُ لِمِثْلِكم ردَّ الجَوابِ
اذ أنتُـــمُ بيتُ العُـــلى ... بَل أنتـمُ لُبُّ اللُّبـــابِ
وكلامُكُـــم خـــيرُ الكَلا ... مِ وعندَكم عِلمُ الكِتـابِ
تَبْني كمـــا تَبْني كُهـو ... لُكُمُ أماجِيـــدُ الشَّبابِ
لكـــن تَفضُلُكُـــم علـى ... أذلَّ شـــارِدَةَ الصِّعـــابِ
كـم نِعْمـــةٍ لكُمُ وكَمْ ... مِن مِنَّـــةٍ مَلاَتْ وِطابي
أنـا عاجِـــزٌ عَـــن شُكرِها ... حتَّى اوسَّـــدَ فـي التُّرابِ
وأنـا المِوَدَّ عَلـى الحَقِيـ ... ـقَةِ أيْنما اتَّجهَتْ رِكابي[٧٢٩]
يَحلُـــو لديَّ عَلى الهَـــوى ... فِيكُم تجـرُّعُ كلِّ صـــابِ
واذا رأيتُـــمْ لي صَـــلا ... حاً فهـــوَ لي عينُ الصَّـــوابِ
هـذا واِنْ رَغَمَتْ بِـــه ... آنافُ أقـــوامٍ غِضـــابِ
دِينـي الذي مِنـه افتِخا ... رِي في الوَرى ولـه انْتِسابي
واليكُـــمُ مِـــن مُخلِصٍ ... أزْكى دعـــاءٍ مُستَجـابِ

ومن فوائده : هذه المسائل السنيّة . قال :سئلت عن المسائل التي نظمها اليافعي[٧٣٠] محاجياً فأجبت عنها على تشعّب فنونها ؛ وهي :

الى أهـلِ فقـهٍ والفَرائضِ والأدبْ ... سُؤالَ فَقيرٍ مُذنبٍ يافِعي النَّسَبْ
فأيُّ مُباحِ الفِعْل مَضمُون فاعـلٍ ... ومَحظُورُ فعلٍ ليسَ يَضمنُ بالعَطَبْ
وايُّ مُعـارٍ ليسَ يُغـرَمُ هالِـكاً ... وعارِيَةٍ ليسَتْ تُرَدُّ لَدى الطَّلَبْ
ومُستَعمَلٍ في غيرِ فَرضٍ وحِكمَةٍ ... طَهُورِيَّةَ الماءِ الطَّهورُ لهاسلَبْ[٧٣١]
ولِلامٌ ربـعُ المالِ في ايِّ صُـورَةٍ ... ولا عَولَ والباقي لزوجٍ وخابَ اب[٧٣٢]
ومَنصـوبِ اعرابٍ تراهُ معَوَّضـاً ... برفعٍ ومرفُوعٍ تراهُ قـد انتَصَبْ

---

(٧٢٩) المود ( بكسر الميم وفتح الواو ، وتشـــديدالدال ) : الكثير الحب . في ك ( وانا المحب ) .

(٧٣٠) هو عفيف‌الدين عبدالله بن اسعد بن علـــي‌اليافعي صاحب كتاب مرآة الجنان المتوفى ســـنة ٧٦٨هـ ( معجم المؤلفين ٦/٢٤ ) .

(٧٣١) في ك ، و ا ( اذا استلب ) مكان ( اذا سلب ) .

(٧٣٢) في ك ( لزوج له حدب ) .

ومَنصوبُه حاكَى لمجرُورِ عكسِهِ فهل من مُجيبٍ للجوابِ قد انتَدَبْ
يُجِبْ بجوابٍ صائبٍ في جَميعِها ومَجموعُها عَشرٌ باحصاءِ من حسَبْ
مُحاجاتُها من قبلِ هذا نَظمتُها برَوضِ علومٍ من رآها رَأى العَجَبْ
يغرِّدُ في الأَفنانِ زاهي فنُونِها ويُطربُ قمرِيها لمن لا لَه طَرَبْ(٧٣٣)
اذا في بِحارٍ خاضَ لُجيَّ بَحرِها لِبيضِ المعاني ذُو ارتياحٍ لها خَطَبْ
فطالِعْ لها انْ كنتَ أهلَ فُنونِها لتعرفَ ما قَولي الى وَصْفِها نَسَبْ

الجـــواب :

اما جواب الأولى : فالأكل من مال فيالمخمصةقهراً .

واما جواب الثانية : فقتل المشرك المستأمنفيدار السلام عمداً .

واما جواب الثالثة : فالبالي بالاستعمالالمأذون ، حتى خرج من المالية بحيث يعدّ تالفاً ، أو هالكاً ، وعارية السفينة .

وأما جواب الرابعة : فالعارية انواجبة ،كاستمارة الحبل ليتعلّق الغريق به قبل حصول الغرض منها ، أو العارية الفاسدة ، كعارية الصغيروالمستعير :

واما جواب الخامسة : فوضوء الصبي .

واما جواب السادسة : فالمكاتبة اذا ماتتوقد أدّت نصف مكاتبتها ، وتركت مالاً ولها زوج ، وأمّ ، وأب ممنوع من الارث باحدىالاسباب ، وليس لها ولد .

واما جواب السابعة : فهو من وجوه :منها :( ما جاء على بعض اللغات في رفع الفاعل والمفعول معاً ، ومنها )(٧٣٤) ما جاء على نصب الفاعل ورفعالمفعول عند ظهور المعنى ، في مثل قولهم : خرق الثوبُ المسمارَ ، برفع الثوب ونصب المسمار ،وقول الشاعر :

مثلُ القَنافذِ هَدّاجُونَ قد بلغَتْ نجرانُ أو بَلغَتْ سَوآتِهم هَجَرُ(٧٣٥)

بنصب السوآت ورفع هجر ، ومنها : مفعولأفعال القلوب اذا دخله الالغاء .

واما جواب الثامنة : فامّا على اللغة الاخرىفي نصب الفاعل والمفعول نحو قول الشاعر :

قد سالَمَ الحيّاتِ منها القَدَما الافْعُوانَ والشجاعَ الشَجْعَما(٧٣٦)

---

(٧٣٣) في ك ( ويطرب قمري الهناء لمن طرب ) .
(٧٣٤) الذي بين القوسين غير موجود في ك .
(٧٣٥) البيت في مغني اللبيب ، الشاهد ( ٩٦٨ ) .
(٧٣٦) وهذا البيت ايضا في المغني الشاهد ( ٩٦٩ ،وفيه ( منه ) مكان ( منها ) .

وأما على المثال الثاني في المسألة السابعة .

واما جواب التاسعة : ففي جمع المؤنث السالم نحو : هندات ، ومسلمات ؛

واما جواب العاشرة : ففي جميع أقسام غيرالمنصرف . والحمد لله ( وحده . انتهى بنصه ومن خطه نقلت )[٧٣٧] .

ومما أنشدني لغيره قول الشيخ عبدعليبن ناصر الحويزي[٧٣٨] من مرثيه له في السيد مبارك[٧٣٩] :

سَقَيَه" تَوهُّمُ ما أرَقَّ من الظُّبى ... أيدي القُيُونِ من الأشعَّةِ جَوهرا
هذا عمودُ الماءِ طَلْقاً جارياً ... وافاهُ ما صَدَّع العُلى فتكسَّرا

وقد نظم هذا المعنى الوالد دام مجده فقال :

لا تَحسبَنْ سيفَ الشَّريف المُنْتضى ... بَدرِ العُلى المسعُود أسْعد من مَضى
هذا الكعابُ به جَلاء" من ذَكا ... قَينٍ أجادَ به المضاربَ وارْتَضى
لكنْ لأمرٍ هائلٍ شَنَعٍ جَرى ... جَرَتِ المياهُ تكسُّراً فهو الأضا

ونظمه شيخنا المذكور فقال :

لا تَظُنَّ جوهَرَ السَّيفِ فيه ... مِن جَلاءٍ جادَه القَيُونُ صِقالا
بل لأمرٍ من الأمورِ مَهولٍ ... صادفَ الماءَ فاستحالَ نِسالا

ونظمته انا فقلت :

لا تحسَبَنَّ فِرِنْدَ صارمِهِ به ... وَشْياً أجادَتْهُ القيُونُ وجَوهَرا
بل ذاكَ غَيْلُ الماءِ أزعَجَه الذي ... كسَر النَّدى فجَرى به مُتكسِّرا

ثم انتقلت الى معنى آخر في ظني أني لم اسبق اليه فقلت مادحاً :

لا تحسَبَنَّ فِرِندَ صارمِهِ به ... وَشْياً أجادَتْه القَيُونُ فأبْهَرا
هذا نَدى يُمناهُ سالِ بمَتْنِه ... فغَدا يلوحُ بصَفْحَتَيْهِ جَوهَرا

---

(٧٣٧) الذي بين القوسين غير موجود في ( ك ) .

(٧٣٨) كان الشيخ عبد علي الحويزي حيا سنة١٠٦٣هـ ( انوار الربيع ٢ / ٢٧٥ ) .

(٧٣٩) هو مبارك بن السيد عبدالمطلب المشعشعيامير الحويزة . توفي سنة ١٠٢٥هـ . ( تاريخ المشعشعيين / ٩٩ وما بعدها ) .

وأنشدني للسيد الجليل ناصر بن سليمان القاروني[٧٤٠] :

أيا مَن يُغالي في القَريب ويَشتَري  قرابةَ انسانٍ بألفٍ أباعِدِ
تمالَ فانّي ـ ليتَني لا قَريبَ لي ـ  أبيعُكَ منهم كلَّ ألفٍ بواحِدِ

وأنشدني للسيد العلامة ماجد بن هاشم البحراني(*) قدّس الله سرّه الشريف في قارىء حسن الصوت :

وتالٍ لآي الذكرِ قد وَقَفَتْ بنا  تلاوتُه بين الضَّلالَةِ والرُّشدِ
بلَفظٍ يَسوقُ المتَّقينَ الى الجَنا  ومعنىً يقودُ الفاسِقينَ الى الزُّهدِ[٧٤١]

وأنشدني له أيضاً ، قال : وهو مما قاله بديهة ، وذلك انّه كان يؤمّ ويخطب بشيراز فكان ينشيء لكل جمعة خطبة ، فنسي ذات جمعة الخطبة التي أنشأها فارتجل خطبة وختمها بهذه الأبيات :

ناشدتُكَ اللهَ الاّ ما نظرتَ الى  صَنيعِ ما ابتَدأ الباري وما ابتَدَعا
تَجدْ صَفيحَ سماءٍ من زُمُرّدَةٍ  خضراءَ فيها فَريدُ الدُّرِ قد رُصِعا
تَرى الدَّراري يُدانينَ الجنوحَ فَما  يَجِدنَ غِبَّ الثرى عَيّاً ولا ضَلَعا
والأرضَ طاشَتْ ولم تسكُن فوقَرَّها  بالراسياتِ التي من فَوقِها وَضَعا
فقرَّ طائشُها من بعدما امتَنَعا  وانحطَّ شامخُها من بعدما ارتَفَعا[٧٤٢]
وأرسلَ الغادياتِ المُعْصِرات لها  فقهقهَتْ ملءَ فيها واكتَسَت خِلَعا[٧٤٣]
هذا ونفسُكَ لو أمَّ الخَبيرُ لها  لارتَدَّ عنها كَليلَ الطَّرفِ وارتَدَعا
وليس في العالمَ العُلْوِيِّ من أثَرٍ  يُحيِّرُ اللُّبَّ الاّ فيكَ قد جُمِعا

وهذه الأبيات طبقة عالية لو كانت عن روّية لكانت غاية ، فكيف وهي عن بديهة وارتجال .

ومما أنشدني قوله أيضاً وهو معنى بديع :

مِن شَيبِ رأسي بكتْ عَيني ولا عجَبٌ  تَجري العُيونُ لوَقْعِ الثَّلجِ في القُلَلِ

---

(٧٤٠) ترجم المؤلف في كتابه سلافة العصر/٥١٤ للسيد ناصر القاروني البحراني ، ولم اقف على تاريخ وفاته .

(٧٤١) في انوار البدرين / ٩٠ ونفحة الريحانة ٢٠٢/٣ ( ومعنى يشوق العاشقين الى الزهد ) وفي سلافة العصر ( هند ) مكان ( الزهد ) .

(٧٤٢) في انوار البدرين (ساحتها) مكان (طائشها) .

(٧٤٣) في سلافة العصر/٤٩٢ ( فقهقهت ملأ ثم اكتست خلعا ) .

وقوله ( رحمه اللّه في الجناس )[٧٤٤] :

وأحْـوى أطار القَلبَ منّي وما انْطَوى ... عليـه جَناحـا مَنْشَرَحيٍّ ولا نَـشْـرِ
عَتَقْنا العِنَى انّ سامَنا دَلَجَ السُّرى ... اليـه الى أحْقـافِ قافٍ ولا نَـسْـري

وقوله فيه أيضاً :

يعـزُّ جَنَـابُ الظَّبي انْ قِـسْتَهُ بـه ... وما هـوَ منـه في سُكونٍ ولا نَفْـرِ
فرَتْنـا ظُبى الأعـداءِ انْ قالَ قائلٌ ... فَرُوا كلَّ جيبٍ في هَـواهُ ولا نَفْري

وقوله فيه :

وذي هَيَفٍ ما الوَرْدُ يـوماً ببالـغٍ ... مَدى وَجْنَتَيهِ في احمـرارٍ ولا نَشْرِ
بَرِئْنـا من الاسلامِ انْ سِيمَ وصلَـهُ ... عَلينا بما فَوقَ النُّفُوسِ ولا نَشْري[٧٤٥]

وقلت انا في هذه المادة :

وأهيفَ قَـد قَـدَّ القُلـوبَ بقَـدِّه ... وما هو عَن حَدَّيْ سِنانٍ ولا نَصْـلِ
صَلَتْنا لَظَى الهَيْجاءِ ان سامَنا هوى ... على حُبِّه صَلْتَيْ النُّفُوسِ ولا نَصْلي

وقلت أيضاً :

ومُزرٍ بِضَوْءِ الشَّمسِ لم تَرَ وَجْهَهُ ... ولا ما ثَلَثْـهُ في علـوٍّ ولا نُبْلِ[٧٤٦]
بَلينـا جَـوىً انْ رامَ منّـا تدَلُّلاً ... بلاءَ نُفـوسٍ في هَـواهُ ولا نُبْلي

وذكرت بقول السيد قدس سرّه ( برئنا من الاسلام ) حكاية لطيفة ذكرها الصلاح الصفدي في شرح الرسالة[٧٤٧] قال : كان القاضي الخليجي عبداللّه بن محمد[٧٤٨] ابن اخت علّويه المغني تيّاهاً صلفاً ، تقلّد القضاء للامين ، وكان علّويه عدوّاً له ، فجرت له قضية في بغداد فاستعفى من القضاء ، وسأل ان يتولّى بعض الكور البعيدة ،فولي قضاء دمشق ، أو حمص . ولما تولى المأمون الخلافة غناه يوماً علّويه بشعر الخليجي وهو :

بَرِئتُ من الاسـلامِ انْ كانَ ذا الذي ... أتاكِ بـه الواشُـونَ عنّي كما قالُـوا

---

(٧٤٤) الذي بين القوسين غير موجود في ك .
(٧٤٥) كذا في الاصول ، والذي في سلافة العصر ( برئنا من العلياء ) .
(٧٤٦) في ك ( قابلته ) مكان ( ماثلته ) .
(٧٤٧) يريد رسالة ابن زيدون .
(٧٤٨) ذكره صاحب الاغاني ٣١٨/١١ وسماه محمدبن عبدالله الخلنجي ، واورد الحكاية التي سيرويها المؤلف عن الصفدي .

ولكنّهم لمّا رأوكِ غَرِيبَةً  بِهَجري تواصَوْا بالنَّميمَةِ واحتالوا
فقد صِرتِ اذنًا للوشاةِ سَمِيعةً  يَنالونَ من عِرضي ولو شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون من يقول هذا الشعر ؟ قال :قاضي دمشق ، فأمر المأمون باحضاره ، فأشخص وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علّويه ، ودعـابالقاضي فقال له : أنشدني الأبيات ، فقال يا أمير المؤمنين هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة وأنـاصبيّ . والذي أكرمك بالخلافة وورّثك ميراث النبوّة ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنـةالاّ في زهد أو عتاب صديق . فقال له : اجلس ، فجلس ، فناوله قدح نبيذ كان في يده ، فأرعـدوبكى وأخذ القدح من يده وقال : واللّه يا أمير المؤمنين ما غيّرت الماء بشيء قط ممّا يختلف فيتحليله ، فقال : لعلك تريد نبيذ التمر ، أو الزبيب فقال : واللّه يا أمير المـؤمنين لا أعرف شيئاً منذلك . فأخذ المأمون القدح من يـده وقال : أما واللّه لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقـك ،ولقد ظننت انّك صادق في قولك كلّه ، ولكن لا يتولى لي القضاء رجل بدأ في قولـه بالبراءة منالاسلام ، انصرف الى منزلك ، وأمر علّويه فغيّر هذه الكلمة وجعل مكانها ( حرمت مكاني منك )

قال الصفدي : ما جرى للمأمون عفا اللّـهعنه مع هذا القاضي المسكين على خلاف المعهـود من حلمه ومكارم أخلاقه ، وكان غير هذا الفعـلأولى به وبرئاسته ، ولكن صان منصـب القضاء ووقّره وأجلّـه فعفا اللّه عنـه . وأما القاضيالخليجي فقـد اختلـج في خاطره من الوشاة ما أضرّبه عند محبوبته وعند الخليفة ، وهـذا منكهانة الشعر ومما يتّفق وقوعه للشاعر بعد مدّة مديدة . وأما علّويه فأعلّـه الله ولا أعلى لـــهكعباً ، فقد أضرّ بحاله وعطّله من حلي القضـاء انتهى(٧٤٩) .

قلت : ( وظني ان السيد رحمه اللّه لـووقف على هذه الواقعة لم ينه بما قاله احتياطاً ، ولقد كان رحمه اللّه قاضياً فلا يأمن أن يرميـهالدهر بمثلها )(٧٥٠) .

( وكانت وفاة السيد المذكور سنة ثمـانوعشرين وألف بشيراز ، وكان أوحد أهل زمانه وأفضلهم على الاطلاق رحمه اللّه تعالى )(٧٥١) .

---

(٧٤٩) ورد في ك بعد كلمة (انتهى) التعليق الاتي ،واظنه زيادة من الناسخ :
( أقول : ولم لم يعين هو منصب الخلافةومقام الامارة ، ويوقر خلافةالمسلمينوامارة المؤمنين وهما هما :

ابدا بنفسـك فانهـا عـن غيهـا  فـاذا انتهت عنهـا فانت حكيـم
فهنـاك يسـمع مـا تقول ويشتفى  بالقـول منـك وينفـع التعليـم
لا تنـه عن خلـق وتأتـي مثلـه  عـار عليـك اذا فعلـت عظيـم

(٧٥٠) وردت هذه الجملة في ك هكذا ( واقول انالسيد رحمه الله لعله معذوب عليه ، ولقد كـان قاضيا في عصره ايضا فكيف يأمن ان يرمىبمثلها لو اطلع عليها . وبعد فالظن فيه انه كان اتقى لله ، واعرف بحرمة الاسلام من ان يقول مثل هذا وقد علم حال البراءة .

(٧٥١) في ك ( وكان اوحد اهل زمانه علما وافضلهمعلى الاطلاق . توفي سنة ثمـان وعشـرين والف بشـيراز ) .

ومنهم الشيخ الكبير المتفنن دون وقارفضله يلملم وثبير . الجامع بين علمي الأديان والأبدان ، والمحرز من فنون العلم ما عزّ ودان ،محيي مآثر الطبابة على نسق السلف الأول ، ومذكي شهاب سمائها الخامد بما فسرّ منها وأوّل،ذو الخطر السامي حسين بن شهاب الدين الشامي هو مع ما تحلّى به من الطبابة ، له في مراتب العلم أعظم بابه ؛ فقد طوى أديمه من الفضل على اغزر ديمه ، وأمّا الأدب فقد نسل اليه من كلّ حدب ،ومتى انفقت لهاته بالشعر أرخص من عقود اللآلي كلّ غالي السعر . هذا الى خلق في المجون تستنير به الليالي الجون ، جاعلاً ذلك له شيمة ، يستلّ لها من القلوب كلّ سخيمة .

قدم علينا الهندسة أربع وسبعين[٧٥٢] فورد منهل أمله العذب المعين ، وكان الوالد كثيراً[٧٥٣] ما يشتاق الى لقيانه ، لتحلي فرائده وعقيانه ؛ ولما بلغ خبر وصوله قلت لشوقه اليه وثنائه عليه :

جاءَ البَشيرُ مُبشّراً ... فأقرَّ من بُشراهُ عَيني
وافى يقولُ أتى الحُسَيْـ ... ـنُ فقلتُ أهلاً بالحُسَينِ
أهوَ الذي حازَ المكا ... رِمَ والعُلى مِلءَ اليَدَيْنِ
قالوا نَعَمْ هُو ذاكَ مَن ... فاقَ الوَرى من غير مَيْنِ[٧٥٤]

وقد أثبت له ما يستحلي جناه ، وتستجلى حسناه ، فمن ذلك قوله وهو من غرر القصائد التي امتدح بها الوالد[٧٥٥] :

تبدّتْ لنا والبَدرُ للغَرب جانحُ ... وكأسُ الكَرى في راحَةِ الطَّرف طافحُ
بحيثُ الشُها تَرنُو بعينٍ كليلَةٍ ... وانسانُها في لجَّةِ الجوِّ سابحُ
وحيث النجومُ الزاهراتُ كأنّما ... توقّدُ منها في الظَّلام مَصابحُ
كأنّ على الآفاقِ روضَ بنَفْسَج ... وهُنَّ الظباءُ العِيسُ فيها سَوانحُ
فلمّا تجلّى نورُها نَسخَ الدُّجى ... فلا أعزلٌ الاّ غَدا وهو رامِحُ
لكِ اللهُ شَمساً يكسِفُ الشمسَ نُورها ... وبَدراً لنُور البَدرِ في اليَمِّ فاضحُ
كأنّ نجُومَ اللَّيلِ وُرْقُ حَمائمٍ ... وفي كلِّ جزءٍ من محيّاكِ جارحُ
خَليليَّ عُوجابي على أيْمنِ الحِمى ... لعلَّ سَماحاً بالوِصالِ تُسامحُ

---

(٧٥٢) وتوفي سنة ١٠٧٦هـ ؛ ترجمته في انوارالربيع ١/٥١ .

(٧٥٣) ابتداء من هذا القوس الى انتهاء الجملة التي ستختم بقوس آخر ـ وهي تشتمل على ثلاث قصائد ـ سقط من (ب) وسأشير الى نهاية ذلك في موضعه .

(٧٥٤) في (ا) هو ذاك بل فاق الورى .

(٧٥٥) القصيدة في سلافة العصر/٣٥٤ .

سَواءٌ عليَّ الموتُ أم شَطَّتِ النَّوى ... بِسحاءَ أمَّ حَزَّ الوَرِيدَيْنِ ذابحُ

تَجَنَّبْتُها لا عَن مَلالٍ ولا قِلىً ... ولكنَّ مُصابٌ يَصدَعُ القلبَ فادحُ

مُصابٌ اذا أخفيتُهُ متُّ لوعَةً ... ووَجْداً وان أبدَيتُه فهو فاضحُ

وان رُمتُ أسلُو حبَّها حالَ دونَه ... رسيسُ جَوىً نَشَّتْ عليه الجَوانحُ

قَضى اللهُ يا سحاءُ بالبَينِ بَينَنا ... ألا كلُّ ما يَقضي به اللهُ صالحُ

حنانَيْكِ أنتِ البُرءُ والداءُ انَّما ... يَفوزُ ويشقَى فيكِ دانٍ ونازحُ

لقد فتكَتْ بي غارَةٌ منكِ شَنَّها ... عَلى القَلبِ غادٍ في هَواكِ ورائحُ

فلا نَفعَ انْ شَطَّتْ بكِ الدارُ أو دَنَتْ ... وسِيَّانِ عِندي فيكِ لاحٍ وناصِحُ

سَقى اللهُ هاتِيكَ المعاهدَ عارِضاً ... من المُزنِ تُمْرِيه الرِّياحُ اللَّواقحُ

لِيَغدُو بها نَشرُ الخُزامى كأنَّما ... يخالِطُهُ من نَشْرِ دارينَ نافحُ

كأنَّ خُدودَ الوَرْدِ والطَّلُّ فوقَها ... خُدودُ الغَواني فوقَها الدَّمع ناضحُ

كأنَّ ابتسامَ الرَّوضِ والجوُّ عابِسٌ ... محيَّا نِظامِ الدِّينِ والدَّهرُ كالحُ

هُمامٌ اذا يَمَّمْتَ أعتابَ مجدِهِ ... نأتْ عنكَ أحداثُ الزَّمانِ الفوادحُ[٧٥٦]

يَزيدُ عَلى التَّلاواءِ حِرْصاً على النَّدى ... كما أرْهَفَ السَّيفَ اليَمانيُّ ماسحُ

مُقيمٌ بظلِّ المجدِ حيثُ تَوطَّدَتْ ... أواخِيهِ مَهما يَبرح المجدَ بارحُ

اذا أظْلَمَتْ شهبُ الكَمالِ أنارَها ... وان خَمَدَتْ زَندُ العُلى فهو قادحُ

وانْ ضَنَّتِ الأنواءُ جادَت يمينُهُ ... وانْ مَنَعتْ أهلُ النَّدى فهو مانحُ

أحاتِمُ أمْ كعبُ بنُ مامةَ مثلُهُ ... أبى اللهُ انَّ الفَرقَ كالصُّبحِ واضحُ

وكلُّ امرئٍ رامَ الغِنى دونَ بابِهِ ... فقَد خَجِبَتْ عنه المُنَى والمَنائحُ

أقائسُهُ بالبَحرِ لا يَنبَغي لَهُ ... وهَل يَستَوي عذبٌ فُرات ومالحُ

وتَزعمُ انَّ الغَيثَ مثلُ يَمينِهِ ... وهيهاتَ رَشَّاحُ القَطارِ وطافحُ

هُو البَدرُ بدرُ التمِّ لولا مِحاقُهُ ... هو الشمسُ لا بَلْ منه فيها مَلامحُ

الى مِثلِهِ عَمداً وفي ظلِّ مثلِهِ ... تُحَثُّ المَهارى أو تُراحُ الرَّوازحُ

هُو ابنُ رَسولِ اللهِ وابنُ وصيِّهِ ... فماذا عَسى انْ يَبلُغَ القَولَ مادحُ

فيا مُستَفيدَ المالِ كيما يُفيدَهُ ... اذا غُلَّ في الأزْمِ الأكفَّ الشَّحائحُ[٧٥٧]

---

(٧٥٦) في سلافة العصر / ٢٥٥ ( تحامتك اخطار الزمان الفوادح ) .

(٧٥٧) الازم ( بسكون الزاي ) جمع الازمة : الشدة والقحط .

سأكسوكَ من مكنونِ نَظمي [ وشائماً ] تُناطُ بجيدِ الدَّهرِ منها وشائحُ[٧٥٨]
تَدومُ دَوامَ الفَرقَدينِ على المَدى اذا لَحِقَتْ بالمادِحينَ المَدائحُ

وقال يمدحه أيضاً[٧٥٩] :

لكَ الخيرُ لا زيدٌ يدومُ ولا عمرُو ولا ماءُ يَبقى في الدِّنانِ ولا خَمرُ
فبادِرْ الى اللَّذاتِ غيرِ مُراقَبٍ فما لكَ انْ قَصَّرتَ عن نَيْلها عُذرُ
فانْ قيلَ في الشَّيب الوَقارُ لأهلِه فذاكَ كلامٌ عنه في مَسمَعي وَقْرُ
وقالوا نَذيرُ الشَّيب جاءَ كما تَرى فقلتُ لهم هيهاتَ أن تُغْنِي النُّذْرُ
لئن كانَ رأسي غيَّرَ الشَّيبُ لونَه فَرِقَّةَ طَبعي لا يُغيِّرُها الدَّهرُ
يَقولونَ دَعْ عنكَ الغَواني فانَّما قِصاراكَ لحظُ العَين والنَّظر الشَّزْرُ
وهَل فيكَ لِلغيدِ الحِسانِ بَقيَّةٌ وقد ظَهر المكنونُ وارتفعَ السِّترُ
وما لِلغَواني وابنِ سَبعينَ حِجَّةً وحلمُ الهَوى جهلٌ ومَعروفُه نكرُ
فقلتُ دَعُوني فالهَوى ذلك الهَوى وما العُمر الاّ اليومُ والعامُ والشَّهرُ
نَشأتُ أحبُّ الغيدَ طِفلاً ويافِعاً وكَهلاً ولو أوْفى على المائة العُمرُ
وهنَّ وانْ أعرضنَ عنّي حبائبٌ لهنَّ عليَّ الحكمُ والنَّهيُ والأمرُ
أحاشيكَ بي منهنَّ من لَو تعرَّضَتْ لنَوءِ الثريّا لاستَهلَّ لها القَطرُ
تَرقرقَ [ ماءُ ] الحُسنِ في نارِ خدِّها فماءٌ ولا ماءٌ وجَمرٌ ولا جَمرُ[٧٦٠]
فيا بُعدَ ما بينَ الحِسانِ وبَيْنَها لهنَّ جَميعاً شَطْرُهُ ولها الشَّطرُ
بَرَهْرَهَةٌ صِفرُ الوِشاحِ اذا مَشَتْ تَجاذَبَ منها الرِّدفُ والعِطْفُ والخِصرُ[٧٦١]
من البِيضِ لم تَغمِسْ يَداً في لَطِيمَةٍ وقد مَلأَ الآفاقَ من طِيبها نَشْرُ
تخرُّ لها زُهرُ الكواكبِ سُجَّداً وتَعنُو لها الشَّمسُ المنيرةُ والبَدرُ
تَخالُ بجَفْنَيها من النَّومِ لوثَةً وتَحسَبُها سَكرى وليسَ بها سُكرُ[٧٦٢]

---

(٧٥٨) في الاصلين ( مثانحا ) مكان (وشائعا) والمثبت من سلافة العصر ، ولعله ( وشائحا ) ، الوشائح جمع الوشاح ، وهو شبه قلادة تنسج من اديم عريض ، رصع بالجواهر .

(٧٥٩) القصيدة في سلافة العصر /٣٥١ وخلاصة الاثر ٢/٩٣ ونفحة الريحانة ٢/٣٨٦ وفي بعض ابياتها اختلاف في الرواية مع تفاوت في عدد ابياتها.

(٧٦٠) في الاصلين ( نار الحسن ) والتصويب من المصادر المذكورة .

(٧٦١) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة والناعمة .

(٧٦٢) اللوثة ( بضم اللام ) : الاسترخاء والبطء .

وقالـوا الى هارُوتَ يُنسَب سحرُها ... أبى اللهُ بَلْ من لَحْظِها يُؤخذ السِّحرُ

تَخالفَ حالي في الغَرام وحالَها ... لها مَحضُ ودِّي في الهَوى ولي الهَجرُ

فيا ويحَ قَلبي كم يُقاسي من الهَوى ... ويا وَيْلَه كم لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ

على انَّني لا جازع ان تباعدت ... بها الدار أو عزَّ التجلُّد والصبرُ

فمَدحُ نِظام الدِّين دامَتْ سُعُودُه ... هو القَصدُ لا بيضُ الكواعبِ والسُّمرُ

شريفٌ له في كلِّ قلبٍ مَدينةٌ ... عزيزٌ نَفيه في كلِّ جارحَةٍ مِصرُ

من النَّفر البِيض الأُلى شَهِدَتْ لهُم ... صُدورُ العَوالي والمهنَّدةُ البُتْرُ

اذا عُدَّ أهلُ الفَضْلِ كانَ امامَهم ... وانْ عُدَّ أهلُ البَذْلِ كانَ له الفَخْرُ

نَهوضٌ بأعباءِ المكارمِ كلِّها ... فانْ ضاقَ صَدرٌ منهم رَحُبَ الصَّدرُ

له تِسعَةُ الأعْشارِ من رُتَب العُلى ... وللنَّاسِ منها ما بَقي وهو العُشْرُ

تجِلُّ عن الدُّنيا ـ وانْ جَلَّ قدرُها ـ ... يَمينُ ابنِ مَعصُومٍ ونائلُه الغَمْرُ

وما بِي الى نَوءِ السِّماكَينِ حاجَةٌ ... وقد لامَسَتْ كفِّي أنامِلَه العَشْرُ

فلا وعدُهُ خُلفٌ ولا البَرق خُلَّبٌ ... ولا جُودُهُ مَطْلٌ ولا سَيبُه نَزْرُ

عَلِقتُ بحَبلٍ منه لا عَن جَهالةٍ ... ولم يُلهِني عنه عِراقٌ ولا مِصرُ

وخُضتُ اليه البَحرَ لا أرهَبُ الرَّدى ... فصادَفتُ بَحراً لا يُقاسُ به بَحرُ

وأدركت من نعماه ما دونه الغِنى ... فدامت لي النُّعمى ودام له الشكرُ

لئن ملتُ يَوماً عن هَواهُ لغَيره ... فلا كانَتِ الدُّنيا ولا وَفَرَ الوَفْرُ

فكفرانُ ما أسْدى اليَّ من النَّدى ... هو الكفرُ لا بَلْ دُونَه عندي الكُفرُ

اذا أنكَرَ الحُسَّادُ سابقَ فَضْلِه ... أقَرَّ له الرُّكنُ اليَمانيُّ والحِجْرُ

وما قلتُ ما قد قُلتُ الاَّ تعلُّلاً ... والاَّ فماذا يَبلُغُ النَّظمُ والنَّثرُ

ولا زالَ مَحروسَ الجَنابِ مُؤيَّداً ... من اللهِ ما دامَ السِّماكَينِ والنَّسرُ

وقوله من قصيدة يمدح بها بعض الأكابر(٧٦٣) :

أشمسُ الضُّحى لا بَلْ مُحيَّاكِ أجملُ ... وغُصنُ النَّقا لا بَلْ قَوامُكِ أعْدَلُ

سَفَرتِ لنا حَيثُ النُّجومَ كأنَّها ... كواعبُ في سُودِ المَطارِفِ تَرْفُلُ

---

(٧٦٢) القصيدة في سلافة العصر / ٣٥٧ ، ونفحة الريحانة ٢/٣٨٨ . وفي عدد ابياتها ورواية بعض الابيات اختلاف .

[ وحيثُ الهَزيـــعُ الآبنوســيُّ ] حانِـــكٌ
كـأنَّ الدُّجى سِترٌ على الأرضِ مُسْـــدَلُ(٧٦٤)

كأنَّ الثريَّـا إذْ ( تراءَتْ ) لناظِـري وشـاحٌ على جيدِ الظَّلام مُفصَّلُ(٧٦٥)
كأنَّ سُهيـلاً والنُّجـومُ تَؤُمُّـهُ نوافِرُ وُرْقٍ خلفَهـا لاحَ أجـدَلُ
كأنَّ الثُّها ذُو صَبوةٍ غالَـه النَّـوى فأنحلَـــهُ والبينُ للصَّبِّ يُنحِـــلُ
فلمَّـا بَدا مرآكَ شـابَتْ فروعُـــهُ وقد كانَ مُسْوَدَّ الغَدائِرِ أثْيَلُ(٧٦٦)
[ لعـاً ] لِعِثاري كيفَ لا ابلُـغُ المُنى وأدرِكُ شَـأواً نَيلُـهُ لا يُؤمَّلُ(٧٦٧)
وقد أدْرَكَتْني من أبي الجُـودِ نظرَةٌ فأشـرقَ نَجمي بَعـدَ ما كانَ يَأفَلُ
وللسَّجـدِ فَضـلٌ حيثُ كانَ وانَّـه اذا كانَ في زاكي الأرُومـةِ أفضَـلُ
كذا الدرُّ يَزهُو حيثُ نِيطَتْ عُقودُهُ ولكنَّـه فـوقَ التَّرائبِ أجْمَـلُ

ومنهم الأديب الضارب بسهم لا يدرك لـهضريب • حامل رايات النباهة ، حافظ آيات الروية والبداهـة ، شيخ الأدب وفتاها ، ومصطافهـاومشتاها عفيفالدين عبدالله بن الحسين(٧٦٨) لازال موقى الشأن من الشين • هـو وان كان ثقفيالأصل الا انّه مثقف قناة النصـل ، له في الأدب مكانة يعرفها من شاهد مكانه • ما سما الى سهوةمنه الاّ امتطاها ، ولا شدّ كتيبة ذهنه عليها الاّ سباها • ينظم الدراري أسـلاكاً ، ويجعـل(٧٦٩)خاطره لها أفلاكاً • لا يتكلّف نحو وعروض ، بل بسليقة أبانت له السنن والفروض • فمن ثمّ اخذبمجامع القلوب وفق ما قيل(٧٧٠) :

حُسنُ الحِضارة مَجلوبٌ بتَطْرِيـةٍ وفي البَداوَةِ حُسنٌ غيرُ مَجلـوبِ(٧٧١)

وكم أنشد لسان حاله المطرب :

ونُستُ بنحـــويٍّ يَلُـوكُ لسانَـــهُ ولكن سَليقيٌّ يقـــولُ فيُعـرِبُ

(٧٦٤) في الاصلين ( كان الهرير الابن اسود حالك )والتصويب من نفحة الريحانة .
(٧٦٥) في ك ( تناءت ) مكان ( تراءت ) .
(٧٦٦) ( اليل ) كذا ورد في الاصلين . والمصـدرينالمذكورين وحقها النصب . وقد نوه محقق نفحة الريحانة عن هذا الاقواء .
(٧٦٧) لعاً لفلان : دعاء له معناه : سلمت ونجوت .في الاصلين ، اما العثاري ، والتصويب من سلافة العصر .
(٧٦٨) عفيف الدين : ترجم له المؤلف في سلافة العصر/٢٢٧ والمحبي في نفحة الريحانة ٤/١٤١ ولم اقف على تاريخ وفاته .
(٧٦٩) الى هنا انتهى ما سقط من (ع) .
(٧٧٠) يأتي في ك بعد هذه الكلمة ( والذى هو مثلمضروب ) .
(٧٧١) البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها (من الجآذرفي زي الاعاريب .

وقد أثبت له ما تغتبطه راحاً ، وتملأ بمواهبه راحاً . فمن ذلك قوله يخاطب الوالد :

أبا هاشمٍ سُدتَ الأنامَ بباذخٍ ... من المجدِ مبنيٌّ على الحزْمِ والوَفا
خُلقتَ نحيفاً والمروءةُ والذكا ... تصوغُ الفتى ماضي الضرائبِ مرهفا
فما شرفُ الانسانِ الاّ بقلبِهِ ... متى طابَ ما واراهُ من شخصِهِ كفى

وكنت كتبت اليه سنة تسع وستين وهو من أول شعري

يا رَبيبَ الندى وتِربَ المعالي ... وأديباً فاقَ الورى بالمقالِ
استمِعْ لي ـ لا زلتَ ـ واصغِ لقولي ... وأجِبْني بما يخِفُّ ثقالي
فانا اليومَ مُنذُ عامَينِ صَبٌّ ... بغزالٍ يفوقُ كلَّ غزالِ
رَقَّ لي مِن جفاه كلُّ عذولٍ ... ورثا لي من صدِّه كلُّ قالي
كلَّما رمتُ رشفةً من لماهُ ... صدَّ عني وسامني بالمحالِ
وأنا والذي أعَلَّ فؤادي ... بهواهُ لستُ الغداة بالي
كيفَ والوجدُ قد أباحَ اصطباري ... ودموعي لمّا تزَلْ في انهمالِ
فاقْتني ـ لا برِحتَ ـ فتوى أريبٍ ... فعساهُ يُصغي ويرثي لحالي
وابقَ واسلَمْ في عزّةٍ وعَلاءٍ ... يا ربيبَ الندى وتِربَ المعالي[٧٧٢]

فأجاب وأجاد :

يا هُماماً قد حازَ طِرْفَ الكمالِ ... وتحلّى بالفضلِ والافضالِ
وجواداً يلوحُ في فلكِ المجْـ ... ـدِ سناهُ يُزري بضوءِ الهلالِ
لا تنكّرْ من مطلِ خِبٍّ كِناسٍ ... انّما يعذُبُ الهوى بالمطالِ
ربّما لاحظَ الأغَنُّ لعُذرٍ ... واحتشامٍ من خوفِ قيلٍ وقالِ[٧٧٣]
الهوى غورُهُ بعيدُ المنالِ ... يا مُنى كلِّ غادةٍ مِكْسالِ[٧٧٤]
فاتّئد في الأمورِ واستعمِلِ الصبْـ ... ـرَ وراقِبْ لفتةَ المُستهالِ
وانشرِحْ في الكِناسِ كفّةَ حبْلٍ ... انّما تعلقُ الظبا بالحبالِ[٧٧٥]
علّ تحظى منها بطيبِ الوِصالِ ... يا هُماماً قد حازَ طِرْفَ الكمالِ[٧٧٦]

(٧٧٢) في ك ( وهناء ) مكان ( وعلاء ) .
(٧٧٣) في ك ( الانام ) مكان ( الأغن ) .
(٧٧٤) لا وجود لهذا البيت في ك .
(٧٧٥) الكفة ( بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة ) : ما يصاد به الظباء .
(٧٧٦) في ك ( على تحظى بطيب وصل فتشفى ) .

ومن شعره قوله :

ويحَ قلب المحبِّ ماذا يُقاسي ... كلُّ قلبٍ عليه كالصخر قاسي
يا جُفوني اينَ الدموعُ فقد أحْـ ... ـرَقَ قلبي توقُّدُ الأنفاسِ
جَدَّ وَجْدي بحبِّ لاهٍ واوْدَى ... بفؤادي تذكارُهُ وهو نائي

وقوله في الجناس التام :

لقد صارَ لي مَدمَعٌ بعدَهُمْ ... يَفيضُ على وَجْنَتي كالعَقيقِ(٧٧٧)
لتَذكارِ أيّامِنا بالحِمى ... وتلكَ اللّيالي بوادي العَقيقِ

وقوله مخاطباً لي وقد وافى الخبر بانتقالوالدتي الى جوار ربّها(٧٧٨) :

يا أيُّها العَلَمُ النَّدبُ الذي شَهِدت ... بفَضلِهِ جِلّةُ السّاداتِ والعُلَما
ومن تملّكَ رِقَّ المكرُماتِ فتىً ... وشادَ رُكنَ العُلى حِلماً وما احتَلَما
لا تَبتَئِسْ من زَمانٍ فَرَّ ناجِذُهُ ... وفوَّقَ السَّهمَ لما أنْ عَدا فرَمى(٧٧٩)
فالدَّهرُ حربٌ وانْ أبْدى مُسالمةً ... لم يُعطِ سِلْماً ولم يُبقِ امْرءاً سَلَما(٧٨٠)
فالحرُّ انْ نابَهُ دَهرٌ بآزِمَةٍ ... تُعيي فانَّ الأسَى في فَقْدِ من عَلَما(٧٨١)

فصل في ذكر جملة من أخبار الهند ،وأحوالها وما يتّصل بذلك من النكت والنوادر وأمثالها ، جلاءً لعقد البيان بتقييدها ، وتبييضاًلوجه الكتاب بتسويدها .

ذكر ابو الحسن عليّ بن الحسين المسعوديفي كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر(٧٨٢) قال : ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحثالذين وصلوا الغاية بتأمل شأن هذا العالم وبدئه : ان الهند كانت ( قديماً كزمانالغرّة )(٧٨٣) التي كان بها الصلاح والحكمة ، فانّه لما تجيّلت الأجيال وتحزّبت الأحزابحاولت الهند أن تضمّ المملكة ، وتستولي على الحوزة ، وتكون الرئاسة فيها فقال كبراؤهم :نحن أهل البدء وفينا التناهي ، ولنا الغاية والصدور ، والانتهاء . ومنا سرى الأب الىالأرض فلا ينازعنا أحدٌ موقفاً ؛ ولا عاندنا

(٧٧٧) في سلافة العصر / ٢٤٢ ونفحة الريحانة ١٤١/٤ ( بعدكم ) مكان ( بعدهم ) .
(٧٧٨) الابيات في سلافة العصر/٢٤٠ وفي روايةبعضها اختلاف .
(٧٧٩) فرناجذه : كشفه ، او كشر عنه .
(٧٨٠) في ك ( تلق ) مكان (يبق ) .
(٧٨١) الآزمة ( بالمد ) كالأزمة:الشدة . في ك (بنائبة)مكان ( بآزمة ) . وجاء عجز البيت في ا ( يعيي الاسى للأسى محيي بها علما ) .
(٧٨٢) الجزء الاول / ٧٦ .
(٧٨٣) كذا ورد في الاصول ، والذي في مروجالذهب ( في قديم الزمان الغرقة ) .

وأراد بنا الاغماض الا آتينا عليه وابدناه ، أويرجع الى طاعتنا ، فأزمعت على ذلك ، ونصبت لها ملكاً وهو البرهمن الأكبر والملك الأعظم ،والامام المقدم . ظهرت في أيامه الحكمة ، وتقدّمت العلماء ، واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في أيامه السيوف والخناجر ، وكثير من أنواع المقاتل ، وشيّد الهياكل ورصّعها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصور فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر والكواكب ( وبيّن كيفيّة صورة العالم ، وأورد أيضاً بالصورة )[٧٨٤] أفعال الكواكب في هذا العالم واحداثها للاشخاص الحيوانية ، وبين حال المدبّر[٧٨٥] الذي هو الشمس ، وأثبت كتاباً في براهين جميع ذلك ،وقرّب الى عقول العوام فهم ذلك ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك ،واشار الى المبدىء الأول المعطي سائر الموجودات وجودها ، الفائض عليها بجوده . وانقادت له الهند وأخصبت بلادها ، وأراهم مصالح الدنيا ، وجمع الحكماء فأحدثوا في أيامه كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور ، ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات ، واحدثوا الأحرف التسعة المحيطة بالحساب الهندي . وكان أوّل من تكلّم في أوج الشمس ، وذكر انه يقيم في كلّ برج ثلاثة آلاف سنة ، وانه اذا انتقل في البروج الجنوبية انتقلت العمارة ، فصار العامر غامراً والغامر عامراً ، والشمال جنوباً والجنوب شمالاً ، ورتب في بيت الذهب حساب البدء الأول ،والتاريخ الأقدم الذي عليه عمل الهند في تاريخ البدءة وظهورها في أرض الهند وسائر الممالك .ولهم في البدء خطب طويل .

وكان ملك البرهمن الى أن هلك ثلثمائة وستين سنة ، وولده يُعرفون بالبراهمة الى وقتنا هذا : والهند تعظّمهم ، وهم أعلى أجناسهم وأشرافهم ، ولا يغتذون بشيء من الحيوان ، وفي رقابهم ــ الرجال والنساء منهم ــ خيوط صفر معلّقون بها كحمائل السيوف فرقاً بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند .

قلت : وما ذكره باقٍ الى زماننا هذا ، ولهم مذاهب تفرّدوا بها عن سائر ملل الهند .

قال[٧٨٦] : وكان قد اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم منهم في بيت الذهب . فقال بعضهم لبعض :تعالوا حتى تتناظر فننظر ما قصّة العالم وما سرّه؟ ومن أين أقبلنا ومن أين نمرّ ؟ وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك ؟ وهل خالقنا المخترع لنا والمنشيء لأجسامنا يستجلب بخلقنا منفعة ؟ أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرّة ؟ أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا ؟ أم هل هو غني ( من كلّ وجه عن اقتنائه ايّانا وابلائنا بعدوجودنا ؟ )[٧٨٧] .

---

(٧٨٤) كذا في الاصول ، وفي مروج الذهب ( وبين بالصورة كيفية العالم ، وارى بالصورة ) .
(٧٨٥) في مروج الذهب ( المدبر الاعظم ) .
(٧٨٦) القول للمسعودي في مروج الذهب .
(٧٨٧) في مروج الذهب ( فما وجه افنائه ايانا ؛واعدامنا بعد وجودنا وايلامنا وملاذنا ) .

فقال الحكيم المنظور اليه منهم : أترى احداً من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة ؟.

وقال الحكيم الثاني : لو تناهت حكمة الباري عزّ وجلّ في أحد العقول كان ذلك نقصاً من حكمته ، وكان الغرض غير مدروك ، وكان التقصير مانعاً من الادراك .

وقال الحكيم الثالث : الواجب علينا ان نبتدىء بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا، ونحن أولى بعنينا من أن نتفرغ الى علم ما بعدنا.

قال الحكيم الرابع : لقد ساء وقوع من وقع وقعاً احتاج فيه ( بنفسه )[٧٨٨] .

قال الحكيم الخامس : من ههنا وجب الاتصال بالحكماء الممدودين بالحكمة .

قال الحكيم السادس : الواجب على المرء المحبّ لسعادة نفسه ألاّ يغفل عن ذلك لا سيما اذا كان المقام في هذه الدنيا مستنعاً والخروج منها واجباً .

قال الحكيم السابع : أنا لا أدري ما تقولون غير اني أخرجت الى هذه الدنيا مضطرّاً ، وعشت فيها حائراً ، وأخرج منها مكرهاً .

فاختلف الهند من سلف وخلف في آرائهم السبعة ، وكلّ قد اقتدى بهم ، وسمّ مذهبهم وتفرّعوا بعد ذلك في مذاهبهم ، وتنازعوا في آرائهم . فالذي يقع الحصر من طوائفهم سبعون فرقة .

قال المسعودي : وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم انّه آدم (ع) وانّه رسول من اللّه عزّ وجل الى الهند . ومنهم من يقول انّه كان ملكاً على حسب ما ذكرنا ـ وهذا أشهر ـ ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعاً شديداً ، وفزعت الى نصب ملك آخر عليها من أكبر ولده ، وكان وليّ عهد أبيه الموصى عليه من ولده وهو ( الناهور )[٧٨٩] ، فسار فيهم سيرة أبيه ، وأحسن النظر لهم وزاد في بناء الهياكل . وقدّم الحكماء وزاد في مراتبهم . وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها . فكان ملكه الى أن هلك مائة سنة . وفي أيامه عملت النرد واحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثالاً للمكاسب وانّها لا تنال بالكسب ولا بالحيلة في هذه الدنيا ، وانّ الرزق لا يتأتى بالحذق .

وقد ذكر أن أردشير بن بابك أوّل من صنع النرد ولعب بها ، وأرى تقلّب الدنيا بأهلها واختلاف أمورها ، وجعل بيوتها اثني عشر بيتاً بعدد الشهور ، وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، وجعل [ القصّين ][٧٩٠] مثالاً للقدر وتقلبه بأهل الدنيا ، وان الانسان يلعب فيبلغ

(٧٨٨) في مروج الذهب ( الى معرفة نفسه ) .
(٧٨٩) في مروج الذهب ( الباهبود ) وقال المحقق ( في نسخة : الناهود ) .
(٧٩٠) في ع و ا ( القعنة ، وفي ك ( الفص ) وما اثبته عن مروج الذهب .

باسعاد القدر اياه في مراده باللعب بها ما يريد ،وانّ الحازم الفطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره إلاّ اذا أسعده القدر ، وان الأرزاق والحظوظ في هذهالدنيا لا تنال [ الاّ ][٧٩١] بالجدود .

ثم ملك ( دامان بعد الناهور )[٧٩٢] فكانملكه نحواً من مائة وخمسين سنة . ولدامان سير وأخبار وحروب مع ملوك فارس ، ومنوكالصين .

ثم ملك فور الى أن هلك مائة وأربعينسنة .

ثم ملك بعده ( دبشليم )[٧٩٣] وهو الواضعكتاب كليلة ودمنة الذي ( نقله ابن )[٧٩٤] المقفع[٧٩٥] .

قلت : وقد ذكر ان أول من نقل كتاب كليلةودمنة وجعله شعراً : أبان بن عبدالحميد[٧٩٦] الشاعر المشهور . وكان قد نقله للبرامكة ونظمهليسهل حفظه ، أوّله :

هذا كتابُ أدَبٍ ومِحْنَه وهو الّذي يُدعى كَلِيلَه دِمنه[٧٩٧]
فيه احتيالاتٌ وفيه رُشْدُ وهو كتابٌ وَضعَتْه الهِندُ[٧٩٨]

قال المسعودي : وكان ملكه مائة وعشرسنين .

ثم ملك بعده ( تلهيث )[٧٩٩] وصنعت فيأيامه الشطرنج فقضى بلعبها على النرد ، وبيّن الظفر الذي ينال الحازم ، والنكبة التي تلحقالجاهل ، وحسب حسابها ورتّب لذلك كتاباً للهند يتداولونه بينهم ، ولعب بالشطرنج مع حكمائه ،وجعلها مصوّرة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوانات مما ليس بناطقوجعلهم درجات ومراتب . ومثّل الشاة بالمدبّر الرئيس ، وكذلك ما يليه من القطع ، وأقام ذلكمثالاً للأجساد العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة ، والاثني عشر . وأفراد كل قطعةمنها بكوكب ، وجعلها ضابطة للسلكة ، واذا كاد عدوّ من أعدائه فوقعت منه حيلة في الحروبنظروا من أين [ يؤتون ][٨٠٠] في عاجل وآجل .

---

(٧٩١) زيادة من مروج الذهب اقتضاه المعنى .
(٧٩٢) في مروج الذهب ( زامان بعد الباهبود ) .
(٧٩٣) في ع ( د سليم ، وفي ك ا سلم ؛ وفي ا ( دسلم ،وما اثبته عن مروج الذهب .
(٧٩٤) في مروج الذهب ( ينسب لابن ) .
(٧٩٥) هو عبدالله بن المقفع الكاتب الشاعر . قتل سنة ١٤٥هـ ( معجم المؤلفين ١٥٦/٦ ) .
(٧٩٦) هو ابان بن عبدالحميد اللاحقي من شعراءالقرن الثاني للهجرة . نظم ليحيى بن خالد البرمكي كليلة ودمنة بأربعة عشر الف بيت . اوردالصولي في كتابه ( الاوراق ـ اخبار الشعراء ) جزءاً يسيراً منها ضمن ترجمة الشاعر المذكور .
(٧٩٧) في الاوراق ( كتاب كذب ومحنة ) .
(٧٩٨) في الاوراق ( فيه دلالات وفيه رشد ) .
(٧٩٩) في مروج الذهب ( بلهيث ) .
(٨٠٠) في ع ( يؤتوا ، وفي ك ا يؤتى ) وفي ا ( تؤتو )وما اثبته عن مروج الذهب .

وللهنـد في لعب الشطرنج سرّ يرونـه فيتضاعيف حسابها ، ويتعلقون بذلك الى ما عـلا من الأفلاك ، وما اليه منتهى العلّة الأولى في أنّ مبلغ اعداد اضعاف الشطرنج :

ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف .

وسبعمائـة وأربعـون الف ألف ألف الف ألف[٨٠١] .

وثلثمائة وسبعون الف ألف ألف ألف[٨٠٢] .

وتسعة آلاف ألف ألف ألف[٨٠٣] .

وخمسمائة ألف ألف .

وأحد وخمسون الف وستمائـة وخمسـةعشر .

ومراتب هذه الألوف انسّة الأولى ، ثم الخمسة التي هي ألف ألف خمس مرات ، ثم الأربعة ، ثم الثلاثة ، ثم الاثنان ، ثم الواحد . لها عندهم معان يذكرونها في الدهور والأعصار ، وتقتضيه سائر المؤثرات العلويّة في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها . ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشطرنج كلام كثير وأنواع من اللعب بها . قـد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ممن تقـدم منهم كالصـولي[٨٠٤] والعدلي[٨٠٥] واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج . وما أحسـن قـول الشـيخ بـدر الدين بن العاصاحب[٨٠٦] في الشطرنج :

تأمّلْ تَرَ الشطْرَنْج كانَدَهـر دَولـةً  نَهـاراً ولَيـلاً ثـم بؤسـاً وأنعُمـا

مُحرّكهـا باقٍ وتَفنَى جَمِيعُهـا  وبَعـد الفَنَـا تَحيـا وتُبعَثُ أعظُما

قال ابن حجة في ثمرات الأوراق : وهـذا يشبه قول القاضي الفاضل[٨٠٧] وقد أخرج لـه السلطان الملك الناصر خيال الظل[٨٠٨] ليفرجـه عليه ، فقام الفاضل عند الشروع في عمله ، فقـال له الناصر : ان كان حراماً فما نحضـره ـ وكان حديث العهد بخدمته قبل أن يلي السلطنة ـ فما

---

(٨٠١) سقط هذا الرقم كله من ك ، وفي مـروج الذهب ( واربعمائة الف وست واربعون الف الف الف الف ) .

(٨٠٢) سقط هذا الرقم ايضا من ك ؛ وفي مروج الذهب ( وسبعمائة واربعون الف الف الف الف ) .

(٨٠٣) في مروج الذهب ( وثلاثة وسبعون الف الف الف وسبعمائة الف الف ، وسبعة الاف الف ) .

(٨٠٤) هو ابو بكر محمد بن يحيى الصولي البغدادي الاديب الشطرنجي . توفي سنة ٣٣٥هـ ( معجم المؤلفين ١٢/١٠٥ ) .

(٨٠٥) العدلي : ذكره ابن النديم في الفهرست/١٥٥ بهذه النسبة ولم يذكر اسمه . وقال : له من الكتب كتاب الشطرنج .

(٨٠٦) نسب المؤلف هذين البيتين في كتابه انوار الربيع ٥/٦٥ الى شمس الدين ابن الصايغ . وما اورده هنا موافق لرواية خزانة الادب لابن حجة الحموي / ٣٢٤ .

(٨٠٧) هو عبدالرحيم بن علي المعروف بالقاضي الفاضل . توفي سنة ٥٩٦هـ (انوار الربيع ٢/٢٨٥).

(٨٠٨) خيال الظل ؛ ويسمى الخيالة : صورة تمثال الشيء . اطلقه مجمع دار العلوم على السينما (معجم متن اللغة ) .

أراد أن يكدّر عليه فقعد الى آخره ، فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصـــر : كيف رأيت ذلك ؟ قال : رأيت موعظة عظيمة ، رأيت دولاً تأتي ،ودولاً تمضـي ، ولما طوي الازار اذا بالمحـرك واحد • فأخرج ببلاغته هذا الجدّ في هذا الهزل،انتهى •

وقريب من هذا المعنى قول من قال[٨٠٩] :

رأيتُ خَيالَ الظلِّ أكبرَ عِبْرةٍ لمَن كانَ في عِلمِ الحَقِيقَةِ راقي
شُخوصٌ وأشباحٌ تَمُرُّ وتَنْقَضي وتَفْنى جَميعاً والمحرِّكُ باقي

قال المسعودي : وكان ملك ( تلهيث )[٨١٠]ملك الهند الى أن هلك ثمانين سنة ؛ وفي بعض النسخ انّه ملك مائة وثلاثين سنة •

ثم ملك بعده كورش فأحـدث للهند آراءفي الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت، وما يحتمله من التكليف أهل العصر ؛ وخرج منمذاهب من سلف • وكان مُلك مَلك الهند هذا الى أن مات عشرين ومائة سنة •

ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائهافتحزّبت الأحزاب ، وتجيّلت الأجيال ، وانفرد كلّ رئيس بناحية ، فتملّك على أرض السنـدملك ، وتملك أرض القنوج ملك ، وتملّك أرض [ قشمير ][٨١١] ملـك ، وتملّـك على ( أرضالمامكين )[٨١٢] وهي الحوزة الكبرى ملك يسمّى ( بلهر )[٨١٣] وهذا اول ملك من ملوكهم سمّيبالبلهر فصارت سمة لمن ملك من الملوك في هذه الحوزة الى وقتنا هذا •

قال : وأرض الهند واسعة في البرّ والبحروالجبال ، وملكهم يتّصل بملك ( الرانج )[٨١٤] وهي دار مملكة المهراج ملك الجزائر ، وهـذهالمملكة [ فرّ"ز"ين ][٨١٥] مملكة الهند والصين ، وتضاف الى الهند ، والهند متّصلة مما يلي الجبالبأرض خراسان ، والسند الى أرض التبت • وبين هذه الممالك تباين وحدوب ؛ ولغاتهم مختلفـةوآراؤهم غير متّفقـة ، والأكثر منهـم يقـول بالتناسخ وتنقل الأرواح •

قال : والهنـد في عقولهـم وسياساتهـمـوحكمتهم وألوانهم وصفاتهم وصحة امزجتهـم

---

(٨٠٩) البيتان في ريحانة الالباء بدون عـزو ، وفيروايتها اختلاف طفيف .
(٨١٠) في مروج الذهب ( بلهيث ) وفي ا ( ناهيت ) .
(٨١١) في الاصول ( قسمين ) مكان ( قشـــمير )والتصويب من مروج الذهب ٨٢/١ .
(٨١٢) في مروج الذهب ( مدينة المانكير ) .
(٨١٣) في ك و ا ( بلهز ) وفي مروج الذهب (بلهري) .
(٨١٤) في مروج الذهب ( الزايج ) .
(٨١٥) في ع و أ ( فردمن ) وفي ك ( جزء من ) وفيمروج الذهب ( قدر من ) وما اثبته عن رواية اخرى أوردها محقق مروج الذهب في الهامش .

وصفاء اذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودانمن الزنج وغيرهم وسائر الأجناس . وقد ذكر جالينوس : في الأسود عشر خصال اجتمعت فيهولم توجد في غيره : تفلفل الشعر ، وخفة الحاجبين ، وانتشار المنخرين ، وغلظ[ الشفتين ][٨١٦] . وتحديد الأسنان ، ونتن الجلد ، وسواد الحدق ، وتشقق اليدينوالرجلين ، وطول الذكر ، وكثرة الضرب . قال جالينوس : وانّما غلب الأسود الطرب لفساددماغه فضعف لذلك عقله . ولقد كان طاووس اليماني[٨١٧] صاحب عبدالله بن العباس لا يأكلمن ذبيحة الزنجي ويقول : انّه عبد مشوّه الخلقة . وبلغنا ان الراضي بالله كان لا يتناولشيئاً منأسود ويقول : انه عبد مشوّه. فلا أدري أقلّد طاووساً في مذهبه أم لضرب من الآراءوالنحل . ولقد صنّف الجاحظ كتاباً في فخر السودان ومناظراتهم مع البيضان[٨١٨] .

قال : والهند لا يستقيم الملك عليها حتى يبلغمن عمره أربعين سنة ، ولا تكاد ملوكهم تظهر نعوامهم الاّ في كلّ برهة من الزمان معلومة ،لانّ في نظر النعوام عندها الى ملوكها خرقاً لهيبتها واستخفافاً بحقّها . فالرياسات عند هؤلاءلا تجوز الاّ بالتكبّر ووضع الأشياء مواضعها من مراتب السياسة .

قال : ورأيت في بلاد سرنديب — وهيجزيرة من جزائر البحر — اذا مات ملكهم صيّر على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكر[٨١٩]مستعدّة لهذا المعنى وشعره ينجر على الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسهوتنادي : أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد جاز فيكم حكمه ، وقد صار الى ما ترون منترك الدنيا ، وقبض روحه ملك الموت بأمر الحيّ القديم الذي لا يموت ، فلا تغترّوابالحياة بعد . وتقول كلاماً هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ، ويطاف به شوارعالمدينة ، ثم يفصل أربع قطع وقد هيّء له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيطيّبويحرق بالنار ، ثم يذرّى رماده في الرياح . وكذلك فعل أكثر الهند بملوكهم وخواصّهمفرض يذكرونه ، ونهج يتمنّونه في المستقبل والملك مقصور في أهل البيت لا ينتقل عنهم الىغيرهم ، وكذلك بيوت الوزراء والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغيّر ولا تبدّل . والهند تمنع منشرب الشراب ، ويعنّفون شاربه لا على طريق التديّن ، لكن تنزيهاً عن ان يوردوا على عقولهمما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم . واذا صحّ عندهم عن ملك من ملوكهم شربه ، استحقّ الخلع من ملكه ، اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط . وربّما يسقون الجواريفيطربن بحضرتهم ، فتطرب الرجال لطرب الجواري . وللهند سياسات كثيرة . انتهى كلام المسعودي باختصار في بعض المواضع .

---

(٨١٦) في الاصول ( الساقين ) والتصويب من مروج الذهب .

(٨١٧) هو طاووس اليماني بن كيسان الخولانيبالولاء ، من اكابر التابعين . توفي سنة ١٠٦هـ. ( وفيات الاعيان ٢/١٩٤ ) .

(٨١٨) تراجع رسائل الجاحظ ١/١٧٧ — ٢٢٥ .

(٨١٩) البكر ( بفتحتين ) جمع البكرة : خشبةمستديرة تدور على محور ، ومنها بكرة البئر .

وأقول : ما ذكره كان فيما سلف من الزمان وقديم العصر . واما الآن فقد استولت ملوك الاسلام على كثير من أقطار الهند ، واستحوذت على جملة من ممالكها . وأما اسامي الممالك التي ذكرها فلا تعرف الآن لتغير الملوك . فكل من عبّر منهم ببلدة سماها باسمه ونسي اسمها الأول . فلا تكاد تعرف بلدة باسمها القديم الا نادراً ؛ أو جزائر وأماكن شاحطة ثم يدخلها ملوك الاسلام ، وذلك لسعة هذا القطر ، وتباعد ما بين جهاته . وقد بلغنا الآن ان ملكاً من الكفرة الهنود اذا ركب الى بيت الأصنام مشى أمامه ثمانية آلاف فيل .

وقرأت في كتاب لملك الهند الى ملك سمرقند يفتخر فيه بسعة ملكه ويحدث بنعمة الله تعالى عليه ، يقول فيه : وكفى ملكنا اتساعاً انه ربع الربع المعمور ، والله اعلم بصحة ذلك .

وقطر الهند من الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

فائدة : الأقاليم السبعة : أولها أرض بابل ، وخراسان ، وفارس ، والأهواز ، والموصل ، وأرض الجبال . ولهم من البروج : الحمل ، والقوس ومن الأنجم السبعة : المشتري[820] .

والاقليم الثاني : السند ، والهند ، والسودان . ولهم من البروج : الجدي . ومن الأنجم السبعة زحل[821] .

والاقليم الثالث : مكة ، والمدينة ، واليمن ، والطائف ، والحجاز وما بينها . ولهم من البروج : العقرب ، ومن الأنجم السبعة : الزهرة .

والاقليم الرابع : مصر ، وافريقية ، والبربر ، والأندلس وما بينها . ولهم من البروج : الجوزاء ، ومن الأنجم السبعة : عطارد .

والاقليم الخامس : الشام ، والروم ، والجزيرة . ولهم من البروج : الدلو ، ومن الأنجم السبعة : القمر .

والاقليم السادس : الترك ، والخزر ، والديلم ، والصقالبة . ولهم من البروج : السرطان ، ومن الأنجم السبعة : المريخ .

والاقليم السابع : [ الدبيل ][822] ، والصين . ولهم من البروج : الميزان . ومن الأنجم السبعة : الشمس . والله أعلم .

وذكر المسعودي في معرض كلام له في نهر الكنك وهو نهر الهند ، ويمرّ بكثير من جبال السند . قال : وهو نهر حاد الانصباب والجريان ، عليه تعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد ، وتغرقها

---

(820) في ك ( زحل ) مكان ( المشتري ) .
(821) في ك ( المشتري ) مكان ( زحل ) .
(822) الدبيل ( بفتح الدال وكسر الباء ) هكذا ضبطها ياقوت : مدينة أرمينية ، تتاخم اران ، وقد وردت في أحسن التقاسيم / ٦١ (بضم الدال) . في ع ( الذيل ) وفي ك ( انديل ) وفي أ ( الدليل ) والتصويب من المصدرين المذكورين .

زهداً في هذا العالم ، ورغبة في النقلة عنه ، وذلك انهم يقصدون موضعاً في أعالي هذا النهر المعروف، وهنـاك جبال عالية ، وأشجار عادية[٨٢٣] ورجال جلوس ، وحـدائد وسيوف منصوبـة على ذلك الشجر ، وقطع من الخشب . فتأتيهم الهند مـن الممالك النائية والبلاد القاصية ، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتّبين على هذا النهر ما يقولون من تزهيدهم في هذا العـالم ، والترغيب فيـما سواه . ويطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجـار العاديـة ، والسيوف والحدائد المنصوبة ، فيقطّعون قطعاً ، ويصيرون الى هذا النهر أجزاء .

قال : وهنالك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره . والغريب من شأنه انه يظهر في الأرض أغصاناً مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجـر والورق ويستقيم في الجوّ كأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم [ ينحني ][٨٢٤] جميع ذلـك منعكساً فيغوص في الأرض مندسّاً ، ويهوي في قعرها سفلاً على المقدار الذي ارتفع في الهـواء ويسعى وينثني ما يغيب منه تحت الأرض ويتوارى تحت الثرى . فلولا انّ الهند قد وكّلت بقطعه لطبّق على تلك البلاد ، وغشي تلك الأرض .

قال : والهند تعذّب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب ، وقـد تيقّنت انّ ما ينالها من النعيم في المستقبل مـؤجلاً ، هـو ما أسلفتـه وعذبت أنفسها في هذه الدار معجلاً .

فمنهم من يصير الى باب الملك فيستأذن في احراقه لنفسه . ثم يدور في الاسواق وقد أجّجت له النار العظيمة عليها من قـد وكّل بايقادها ، ثم يسير في الاسواق وقدّامه الطبول والصنوج وعلى [ بدنه ][٨٢٥] أنواع من خرق الحرير قـد مزقها على نفسه وحوله أهله وقرابته ، وعلى رأسه اكليل من الريحان ، وقد قشر جلدة من رأسـه وعليها الجمر ، وقـد جعـل عليهـا الكبـريت والسـندروس[٨٢٦] وهامته تحترق ، وروائح دماغه تفوح ، وهو يمضغ ورق التانبـول[٨٢٧] وحبّ الفوفل . فاذا طاف في الأسواق وانتهى الى تلك النار وهو غير مكترث لا يتغيّر في مشيته ، فمنهم من اذا أشرف على النار وقد صارت جمراً كالتل العظيم تناول بيده خنجراً فيضعه في لبّته .

قال : وقد حضرت ببلاد صيمور من بـلاد الهند سنة أربع وثلثمائة فرأيت رجلاً من فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهـم ، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقّه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجـذب منها قطعة وهو يتكلم ، فقطع منها قطعة بالخنجر فدفعهـا الى بعض اخوته تهاوناً بالموت ، ولذّة بالنقلة ، ثم هوى بنفسه في النار . واذا مات الملك من ملوكهم أو قتل ، حرق كثير من الناس انفسهم لموته .

---

(٨٢٣) الاشجار العادية : القديمة ، والعظيمة .

(٨٢٤) في الاصول ( يحنو ) وما اثبتـه عن مروج الذهب ١/٢٠٩ .

(٨٢٥) في الاصول ( يديه ) والمثبت عن مروج الذهب .

(٨٢٦) السـندروس ( بالكسر ) : صمـغ شـجر أو معدن شبيه بالكهرب ( اقرب الموارد ) .

(٨٢٧) التانبول ، والتامول : ضرب من اليقطين ، طعم ورقة كالقرنفل . يمضغونه بقليل من الكلس ، ويغلب استعماله في الهند واليمن والحجاز .

وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعهاالنفوس ، وأنواع المقاتل تألم عند ذكرها الأبدان وتقشعر منها الأبشار .

وذكر ان الأغلب عليهم في لعبهم القماربالشطرنج والنرد على الثياب والجوهر ، وربّما أنفذ الواحد ما معه فيلعب على قطع عضو منأعضاء جسمه ، وهو أن يُحضر نهم قِدر" من انحاس صغير على نار فحم فيها دهن لهم أحمر ،فيُغلي ذلك الدهن ، وهو دهن مدمل للجراح وماسك لسيلان الدم ، ويجمعون خنجراً . فاذالعب في اصبع من أصابعه وقُسِرَ قطعها بذلك الخنجر وهو مثل النار ، ثم غمس يده في ذلكالدهن فكواها ثم عاد الى لعبه . فان توجه عليه اللعب في قطع الأصابع والكفّ ثم الذراع والزندوسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكيّ بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من أخلاطوعقاقير بأرض الهند ، وهو عجيب المعنى لما ذكرنا ، وما ذكرناه عنهم مستفيض من فعلهم .

قلت : امّا أنواع تعذيبهم لأنفسهم فباقٍ الى زماننا هذا ، فمن ذلك انه اذا مات الرجل منهم وكان له زوجة جعلت له دائرة عظيمة من الحطبكالحظيرة فيوضع الرجل وسطها وذلك قبل أن تؤجج ، ثم تأتي زوجته وقد لبست أفخر ثيابهامضمّخة بالدهن المطيّب ، وتحلّت بجميع حليها ، وقد زفّها أهلها وقرابتها جميعاً وغيرهممن هو على ملّتهم ، فتقف عند زوجها في وسط تلك الحظيرة[٨٢٨] وهي تضع ورق التانبول ،وتتكلّم وتضحك غير مكترثة بالموت . وقد ضرب لها وتدان في تلك الحظيرة من الحطبفتربط رجلاها فيهما بسلسلتين من الحديد ، ثم يصب الدهن على ذلك الحطب وتضرم النارويؤجّج . فاذا اتقدت النار ولحقت المرأة رفعتها عن الأرض فيمنعها قيد رجليها عن أن تلقيها الىخارج ، فلم تزل ترتفع وتنحطّ حتى تفارق روحها بدنها .

وذكر الشيخ البهائي(*) في كشكونه[٨٢٩]:انه استمرّت العادة في أقاصي بلاد الهند على اقامة عيد كبير على رأس كلّ مائة سنة ،فيخرج أهل البلد جميعاً من شيخ وشاب وصغير وكبير الى صحراء خارج البلد فيها حجر كبيرمنصوب . فينادي منادي الملك : لا يصعد هذا الحجر الاّ من حضر هذا العيد قبل هذا ، فربّماجاء الشيخ الهرم الذي ذهبت قوّته وعمي بصره ، والعجوز الشوهاء وهي ترجف منالكبر ، فيصعدان على ذلك الحجر ، أو أحدهما، وربّما لا يجيء أحد ويكون قد فني ذلك القرنبأسره . فمن صعد ذلك الحجر نادى بأعلى صوته : قد حضرت العيد السابق وأنا طفلصغير ، وكان ملكنا فلان ، ووزيرنا فلان ، وقاضينا فلان ، ثم يصف الأمم الماضية من ذلكالقرن كيف طحنهم الموت وأكلهم البلى ، وصاروا تحت أطباق الثرى . ثم يقوم خطيبهمفيعظ الناس ويذكر الموت ، وغرور الدنيا ولعبها

---

(٨٢٨) الحظيرة : الموضع الذي يحاط عليه لتأويالبه الاغنام ، أو الابل .

(٨٢٩) كشكول البهائي ١ / ٧ .

بأهلها ، فيكثر في ذلك اليوم البكاء ، وذكر الموت والتأسف على صدور الذنوب ، والغفلة عن ذهاب العمر . ثم يتوبون ويكثرون الصدقات ، ويخرجون من التبعات . انتهى .

وحكى المسعودي[٨٣٠] وغيره : انّ الاسكندر لمّا ملك فارس واحتوى على ملكها وتزوّج بابنة ملكها سار نحو السند والهند ،ووطئ ملوكها ، وحمل اليه الهدايا والخراج ، وحاربه ( فورك )[٨٣١] وكان أعظم ملوكها ،وكانت له مع الاسكندر حروب ، وقتله الاسكندر مبارزة ، وبلغه انّ في أقاصي أرض الهند ملكاً ذا حكمة وسياسة ، وديانة وانصاف للرعيّة ، وانّه قد أتى عليه مئون من السنين ،وانه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له : كند ، وكان قاهراً لنفسه مميتاً لصفاته من الشهوة والعصبية وغيرها ، حاملاً لها على خلق كريم ، وأدب رائق . فكتب اليه كتاباً يقول فيه : اذا أتاك كتابي هذا فان كنت ماشياً فلا تلتفت ، وان كنت قائماً فلا تقعد حتى تصل اليّ والاّ مزقت ملكك والحقتك بمن مضى من ملوك الهند . فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر بأحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه انه اجتمع قبلك[٨٣٢] أشياء لم يجتمع عند غيره مثلها . فمن ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها ، وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله ، وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيء من العوارض الاّ ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحلّ العقدة التي عقدها المبدع لها ، والمخترع لهذا الجسم الحسّي المنصوب غرضاً للحتوف والبلايا ، وقدح اذا ملأته شرب منه عسكرك جميعه ولاينقص منه شيء . وأنا منفذ جميع ذلك الى الملك وسائر اليه . فلما قرأ الاسكندر الكتاب أنفذ اليه جماعة من حكماء اليونانيين والروم ، وقال لهم : ان كان صادقاً فيما كتب به فاحملوا ذلك اليّ ودعوا الرجل ، وان تبينتم الأمر على خلاف ذلك ، وانّه أخبر عن الشيء بخلافه فاشخصوه اليّ . فمضى القوم وأظهر لهم الجارية ، فلما رمقوها بأبصارهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدّى الى غيره . فخاف القوم على عقولهم ،ثم رجعوا الى أنفسهم وقهر سلطان هواهم . ثم أراهم بعد ذلك ما تقدّم الوعد به وصرفهم ،وسيّر بالفيلسوف والجارية والطبيب والقدح، فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ، ونظر الى الجارية فبهرت عقله ، وأمر قيمة جواريه بالقيام عليها ، ثم صرف همّته الى الفيلسوف والى علم ما عنده وعند الطبيب . فملأ قدحاً من السمن وأرهقه حتى لم يبق للزيادة عليه مجال ، وبعث به الى الفيلسوف ، فدعا بالف ابرة فغرس أطرافها في السمن وأنفذها الى الاسكندر . فأمر الاسكندر بسبك الابر كرة وبعثها اليه . فسبكها وجعلها مرآة مصقولة وأعادها . فدعا الاسكندر بطست من ماء فطرح المرآة فيه حتى رسبت وأعادها ، فجعلها طاسة طافية على الماء وأعادها .

(٨٣٠) مروج الذهب ١/٢٩٢ .
(٨٣١) في مروج الذهب ( فور ) .
(٨٣٢) في مروج الذهب ( انه اجتمع له قبله ) .

فملأها الاسكندر بالتراب وبعث بها اليه . فلما نظر الفيلسوف اليها تغيّر لونه وجزع ، وتغيّرت صفاته ، وأسبل دموعه على صحن خدّه وجعل يكثر شهيقه ، وظهر حنينه ، وطال أنينه ، وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ، ثم أفاق من تلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها فقال : ويحك يا نفس ما الذي قذف بك في هذه الهدفة ، وأصارك الى هذه الغمة ، ووصلك بهذه الظلمة ، أنسيت وأنت في النور تسرحين ، وفي العلوم تسرحين . تنظرين بالضياء الصادق ، تنفسحين في العالم المشرق ، أنزلت الى عالم الظلم والمعاندة . والغشم والمفاسدة ، تخطفك الخواطف . وتهزّك العواصف ، قد حرمت علم الغيوب ، والكون في العالم المحبوب ، ورميت بشدائد الخطوب ، ورفضت كلّ مطلوب . أين مصادرك الطيّبة وراحتك القوية ؟ حللت في الأجساد ، وقوي عليك الكون والفساد ، واختلطت يا نفس بين السباع القاتلة والأفاعي المهلكة . والمياه المالحة ، والنيران المحرقة ، والرياح العاصفة ، تسير بك الأعسار في قرارات الأجسام ، لا تشاهدين الا غافلاً ولا ترين الا جاهلاً ، جيل قد زهدوا في الخيرات ، ورغبوا عن الحسنات . ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته : يا لك من نجوم سائرة ، وأجسام زاهرة ، من عالم شريف طلعت ، ولشيء ما وضعت ، انك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة ، وفي خزائنه قاطنة ، وقد أصبحت عنه ظاعنة . ثم أقبل على رسول الاسكندر فقال : خذه وردّه الى الملك — يعني التراب — ولم يحدث فيه حادثة .

فلما وصل الرسول الى الاسكندر اخبره بجميع ما شاهد ، فتعجب الاسكندر من ذلك ، فلما أن كان في صبيحة تلك الليلة جلس الاسكندر جلوساً خاصاً ودعا الفيلسوف ، فلما أقبل رآه طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، ومن كان كذلك فهو أوحد زمانه ، فأحسّ الفيلسوف بذلك فأدار اصبع السبابة حول وجهه ثم وضعها على أنفه ، ثم دنا مسرعاً فحيّا الملك ، فأشار اليه بالجلوس ، وسأله عن وضع اصبعه على أنفه ، فقال : فهمت ما خطر لك فأشرت الى أنه ليس في الهند غيري ، كما أنه ليس في الوجه الا أنف واحد ، قال : فما معنى غرز الابر في السمن ؟ قال : فهمت انك تقول : علمت حتى لا مجال للزيادة كما ملىء هذا الاناء ، فأشرت الى ان الكامل يقبل الكمال . قال : فما المراد من بسط الكرة ؟ قال : فهمت انك تقول : قلبي قسا من سفك الدماء واشتغل بهذا العالم فلم يقبل العلم ، فأشرت الى انّ جلاء الصدأ ممكن كما صار من الكرة مرآة ترى الأجسام . قال : فما المراد من جعلها طاسة طافية على الماء ؟ قال : فهمت انك تقول : الأيام قصيرة ، والأجل قريب ، ولا يدرك العلم الكثير في الزمن القليل ، فاشرت الى ان قطع المسافة الطويلة في الأمد اليسير متيسّر كما طفت الراسبة على وجه الماء في أسرع وقت . قال : فما بالك حين ملأت الاناء بالتراب لم تردّ الجواب ؟ قال : فهمت انك تقول : ثم الموت ، فأخبرتك انه لا حيلة في ذلك . فقال الاسكندر : صدقت ، ولا حسنن ألا الى الهند لأجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، فقال:

لو أحببت المال ما أردت[٨٣٣] العلم فلست أدخل علمي ما يضادّه وينافيه . ثم نصح الاسكندر بنصائح يأمره فيها بالعدل والاحسان . فخيّره الاسكندر بين المقام عنده ، والعود الى وطنه ، فاختار العود الى وطنه فلحق بأرضه . وما أحسن قول من قال :

ولو أنّ الغَريبَ غَدا مليكاً ونالَ من العُلى أقْصى مُرادِهْ
لباتَ وقلبهُ يَصْلى بنارٍ لتُربةِ أرْضِه وهَوى بلادِهْ

ولله درّ القائل[٨٣٤] :

فيا وَطني انْ فاتَني بكَ سابقٌ من الدّهر فَليَنْعم لساكنِكَ البالُ
فان أستَطِعْ في الحَشرِ آتِكَ زائِراً وهَيهات لي يومَ القِيامَةِ أشْغالُ

واما القدح فامتحنه من أدهقه بالماء وأوردعليه الناس فلم ينقصه شربهم منه شيئاً ، وكان معمولاً بضرب من خواص الهند الروحانية[ والطبائع ][٨٣٥] التامة وغير ذلك من العلم مما تدعيه الهند . وقد قيل : انه كان لآدم أبي البشربأرض سرنديب من بلاد الهند ، مبارك له فيه ، فورث عنه وتداوله الأملاك الى أن انتهى الى الملك كند لعظم شأنه . وامّا الطبيب فكان كما وصفه صاحبه .

وقرأت في خلق الانسان للعلامة النيسابوري[٨٣٦] : ان الملك كند المذكور رأى قبل مكاتبة الاسكندر له بمائة سنة رؤيا راعته ،فجمع لها علماء مملكته وقصّها عليهم فقال : اني رأيت كوة صغيرة الى بيت فيه فيل عظيم محبوس ، وانّه خرج من تلك الكوة كلّه ما خلا ذنبه ، وتعجبت من خروج الأكبر وبقاء الأصغر،ورأيت قرداً على سرير الملك ، وكرباسة[٨٣٧] في أيدى طائفة يتنازعونها فلا تنخرق ، ولا يغلب بعضهم عليها بعضاً ، ورجلاً عطشان يهرب من الماء والماء يتبعه فلا يعطف عليه حتى يشربه ،ورأيت أهل المدينة في المبايعة والتصرّف ، ورأيت قوماً مرضى يعودون صحيحاً ويسألونه عن حاله ،وبرذونا ذا رأسين يأكل بكليهما ولا يروّث ، ولا له مراث ، وثلاث خوابي[٨٣٨] مصفونة ينصبّ ما في اليمنى واليسرى بعضها الى بعض ولا يقطّر في الوسطى شيء وهي فارغة ، وبقرة ترتضع من عجلها ، وعيناً قد يبس مخرج مائها وما دونها ممتلىء .

وقد علمت انّ هذه الرؤيا لأمر عظيم وخطب فظيع ، وخاصة لتتابعها في وقت واحد .

---

(٨٣٣) في ك ( مانلت ) مكان ( ما اردت ) .
(٨٣٤) الشعر لابي العلاء المعري احمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٤٩هـ ( انوار الربيع ١/٣٩ ) .
(٨٣٥) لا وجود لهذه الكلمة في ك ، وفي ع و ا (الطماع) وما اثبته عن مروج الذهب .
(٨٣٦) هو بيان الحق محمود ابن ابي الحسن النيسابوري وقد تقدم التعريف به .
(٨٣٧) الكرباسة ، والكرباس : ثوب من القطن ،وقيل الثوب الخشن ( معرب ) .
(٨٣٨) الخوابي ، جمع الخابية ( واصلها الهمز ) :الجرة الكبيرة .

فقالوا له : انّ علمك يفضل على علمنا فضل قدرك على أقدارنا ؛ فليقل في التأويل خيراً ، فان الحكماء أمروا بذلك . فقال الملك : وهل لكلمة الانس اقتدار على ردّ ما قد قضى الله ، وسبق به علمه ؟ فقالوا : لا يفي علمنا بتأويل هذه الرؤيا ؛ ولا يستقلّ به غير مهراي العالم ، ووصفوا له أمره فقال : لو لم تكن لي الى هذا الرجل حاجة لآتيته اعظاماً له وتيمّناً بلقائه ؛ فكيف ولي اليه حاجة . ثم ركب الى أرضه في خف[٨٣٩] من رجاله وأتاه وخرّ له ساجداً وأخبره الخبر فقال العالم : لا بأس عليك من رؤياك الى مائة سنة ، ثم تضرّك بعض الضرر ؛ ولا يبيد سلطانك ، ولكنّك تسلم ، وتسلم بلادك بجارية ؛ وطبيب ، وفيلسوف . قال : وكيف ذلك أيها الصادق ؟ قال : اذا تمّ الأجل أتت أمّة من المغرب يملكها الاسكندر ، والنصر محتفّ به . لا يطيقه الانس والجن ، يدخل المشرق ويعطيه أهله المقادة ، وستسلم منه بما ذكرت ، فلا يطأك حريماً ، ولا يخرّب بلداً ، وأمّته أمّة سوء ، وهذه الرؤيا عليهم .

أمّا الفيل : فملك تلك الأمة خرج من الدين قبله الاّ أتباعه .

وأمّا القرد : فالملوك على عهده يصيرون سفلاً ، والسفل ملوكاً تسجد لهم الملوك .

وأمّا العطشان : فالناس في زمانه يهربون من العلم ولا يلتفتون اليه .

وأمّا المرضى : فضعفاء تلك الأمة يهدون لأغنيائهم .

وأمّا البرذون : فانّهم يرون الأخذ من الولي والعدو ، ولا يرون للبذل موضعاً .

وأمّا الخرابي : فأهل المسكنة تكون فيما بين أغنيائهم فلا تنال منهم خيراً .

وأمّا الكرباسة : فتقريره ممالك الأرض على طوائف متساوية في القدر ، لا يغلب بعضهم بعضاً ، ويتوادعون على ذلك زماناً .

وأمّا العين : فهي مخرج الأمور من غير مجاريها ، وتحوّل الأمر الى غير أهله .

وأمّا البقرة : فالمظهم يصير مستطعماً ، والملوك عبيداً ، الاّ أنت وأهلك . فانصرف وقرّ عيناً الى تمام الأجل ، فاذا أتاك فلا تحاربه واهدِ له ابنتك الحسناء ، وطبيبك الماهر ، وفيلسوفك الطويل . ففعل ما أمره وسلم .

وهذه القصة مع صدق أمر الرؤيا في انعقاد الدول فائدة العلم بتأخرها الى حين والله أعلم .

ورأيت في كتاب العقد[٨٤٠] لأحمد بن عبدربه القرطبي[٨٤١] : أن أحد ملوك الهند كتب الى عمر بن عبدالعزيز : من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك والذي تحته بنت ألف ملك ،

(٨٣٩) الخف بكسر الخاء وتشديد الفاء : الجماعة القليلة .
(٨٤٠) العقد الفريد ٢/٢٠٢ .
(٨٤١) توفي احمد بن محمد بن عبدربه القرطبي سنة ٣٢٨هـ ( انوار الربيع ٤/٢٢٣ ) .

والذي في مربطه ( مائة الف )[٨٤٢] فيل ، والذي له نهران ينبتان العود ، والبوءة[٨٤٣] ، والجوز ، والكافور الذي يوجد ريحه على [ مسيرة ][٨٤٤] اثني عشر ميلاً . الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً . أما بعد فاني أردت أن تبعث اليّ رجلاً يعلمني الاسلام ، ويوقفني على حدوده والسلام .

وفي المروج[٨٤٥] : ان ملك الهند كتب الى كسرى : من ملك الهند صاحب قصر الذهب ( وايوان )[٨٤٦] الياقوت والدرّ الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنو شروان . وأهدى اليه ألف منّ عود هندي يذوب في النار كالشمع ، ويختم عليه كما يختم على الشمع فتتبين فيه الكتابة ، وجاماً من الياقوت الأحمر فسحته شبر مدّور مملوءاً درّاً وعشرة أمنان كافور كالنسنق وأكبر من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خدّها ، وكانّ بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ورقة تخطيطها واتقان تشكيلها ، مقرونة الحاجبين لها ضفائر تحوزها ، ( تغني بالفارسية والهندية والصينية ، يستغرق الوجد سماعها ، وترقص رقص الفرس والهند والصين ، عاملة بأنواع الملاهي )[٨٤٧] . وفرشاً من جلود الحيّات ألين من الحرير ، وأحسن من الوشي ، والله اعلم .

قيل : وقد كان الملك العظيم ، والعدل الكثير ، والنعم الجزيلة ، والسياسة الحسنة ، والرخاء والأمن الذي لا خوف معه في بلاد الهند . وبلاد الصين ، وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم ، والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر سواهم على أمثالها .

قلت : وهي الآن كما قيل :

فتَغيَّرَتْ كلُّ البلادِ وأهلُها وغَدَتْ حَديثاً مثل أمسٍ قد مَضى

وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود ، وشجر الكافور ، وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل[٨٤٨] ، والدارصيني[٨٤٩] والكبابة[٨٥٠] ، والبسباسة[٨٥١] وأنواع الأدوية .

---

(٨٤٢) في العقد الفريد ( الف فيل ) .

(٨٤٣) البوة ( بفتح الباء وتشديد الواو المفتوحة ) : جوزة طيبة تدق وتخلط مع اجزاء التوابل والافاويه . وهي معروفة بالعراق بهذا الاسم . ولم اجد لها ذكراً في كتب اللغة . في العقد الفريد ٢/٢٠٢ ( الالوة : مكان ( البوة ) وقال المحقق : هي ضرب من العود يتبخر به .

(٨٤٤) زيادة من العقد الفريد .

(٨٤٥) مروج الذهب للمسعودي ١/٢٦٦ .

(٨٤٦) في مروج الذهب ( وابواب ) .

(٨٤٧) الذي بين القوسين غير موجود في مروج الذهب .

(٨٤٨) السنبل ( بالضم ) : نبات طيب الرائحة يتداوى به ، ويسمى سنبل العصافير .

(٨٤٩) الدارصيني : مثل لحاء الشجر ويسمى في العراق ( الدارسين ) يخلط مدقوقة مع التوابل ( معرب ) .

(٨٥٠) الكبابة : دواء صيني ويستعمل مع التوابل ايضا .

(٨٥١) البسباسة : اوراق صفر تحذي اللسان كالكبابة .

ومن كلام ابن القرّيّة[٨٥٢] لما سأله الحجاج عن البلدان : الهند بحرها درّ ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عود ، وورقها عطر ، وأهلها طعام كقطع الحمام .

وقال المسعودي : بحر الهند والصين في قعره اللؤلؤ ، وفي جباله الجواهر ، ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي[٨٥٣] . وفي أفواه دوابه العاج ، ومن نباته الأبنوس والخيزران والقنا ، والبقم والعود وأشجار الكافور ، وأشجار كثيرة ، والجوزبوّاء ، والترنجل والصندل وأنواع الأفاويه والطيب والعنبر ، وطيوره الباغي[٨٥٤] الأبيض والخضر ، ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ، ومنها ما يكون كالنعامة كبراً ، ومن حشرات أرض الهند سنانير الزباد ، وظباء المسك . قيل : وعلة كون الطيب بأرض الهند أنّه من الورق الذي خصف عليه آدم أبو البشر من ورق الجنّة ، فانّه لما هبط بالهند في جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق ، يبس فذرّته الرّياح فانتشر في بلاد الهند فكان هو العلّة في ذلك والله أعلم .

وجبل سرنديب من أعجب الجبال ، طوله مائتان ونيّف وستون ميلاً وفيه أثر قدم آدم عليه السلام . قيل : لابدّ له كلّ يوم مطرة تغسل موضع قدمه ، وقد لمعت عليه اليواقيت ، وفيه الماس .

وفي جزائره أنواع الأفاويه ، وشجر الساج ، والله سبحانه أعلم .

وما يلتحق بأخبار الهند وينتظم في سلكها قصة بابا رتن الصحابي ، فلا بأس بذكرها لغرابتها : قرأت في تذكرة صلاح الدين الصفدي في الجزء الثامن[٨٥٥] منها ما نصّه : نقلت من خطّ الفاضل علاء الدين علي بن مظفر[٨٥٦] الكندي رحمه الله تعالى ما صورته :

حدثنا القاضي الأجل العالم جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سليمان بن ابراهيم الكاتب من لفظه في يوم الأحد[٨٥٧] خامس عشر ذي الحجة سنة احدى عشرة وسبعمائة بدار السعادة دمشق المحروسة ، قال : أخبرني الشريف قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن علي بن الشريف

(٨٥٢) هو ايوب بن زيد بن قيس الهلالي المعروف بابن القرية ( بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء المفتوحة — في ع ( ابن القرن ) وفي ك و ؟ ( ابن القربة ) — : اعرابي امي رخيم مضرب المثل ببلاغته ، قتله الحجاج سنة ٨٤هـ ( الاعلام ١/٣٨١ ) وترجم له الخونساري في روضات الجنات/١١١ وسماه ( اسماعيل بن زيد ) .

(٨٥٣) القلعي : نسبة الى نوع من الرصاص الجيد يسمى القلعة ( بتسكين اللام ، وتحرك ) .

(٨٥٤) الباغي . كذا جاء في ك ، والظاهر انه بريد جمع ببغاء والمعروف انها تجمع على ببغاوات . في ع ( الساعي ) وفي ؟ ( الباغي ) . لم اجد الخبر في مروج الذهب ولعلني لم اجتد اليه .

(٨٥٥) في كشف الظنون ١/٣٨٨ انها نحو الاثني مجلدا .

(٨٥٦) نعله علي بن الظفر بن ابراهيم الوداعي الكندي الاسكندراني ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧١٦هـ ( الدرر الكامنة ٣/٢٠٤ ) .

(٨٥٧) في ك ( يوم الاربعاء ) .

شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الحسين الحسيني الأثري الحنفي من لفظه في العشر الاخر من جمادى الأولى عام احدى وسبعمائة بالقاهرة قال أخبرني جدي الحسين بن محمد قال : كنت في زمن الصبا وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة سافرت مع أبي محمد ، وعمي عمر من خراسان الى بلاد الهند في تجارة ، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من ضياع الهند ، فعرّج القفل نحو الضيعة ونزلوا بها ، وضجّ أهل القافلة فسألناهم عن الشأن فقالوا : هذه ضيعة الشيخ رتن ( اسمه بالهندية ) وعرّبه الناس وسموه بالمعمّر لكونه عمّر عمراً خارجاً عن العادة . فلما نزلنا خارج الضيعة رأينا بفنائها شجرة عظيمة تظلّ خلقاً عظيماً ، وتحتها جمع عظيم من أهل الضيعة ، فتبادر الكلّ نحو الشجرة ونحن معهم ، فلما رآنا أهل الضيعة سلّمنا عليهم وسلموا علينا ، ورأينا زنبيلاً كبيراً معلقاً في بعض أغصان الشجرة ، فسألنا عن ذلك فقالوا : هذا الزنبيل فيه الشيخ رتن الذي رأى رسول الله (ص) مرتين ودعا له بطول العمر ست مرات ، فسألنا جميع أهل الضيعة أن ينزل الشيخ[858] ونسمع كلامه ، وكيف رأى رسول الله (ص) وما يروي عنه . فتقدم شيخ من أهل الضيعة الى الزنبيل ـ وكان ببكرة ـ فأنزله فاذا هو مملوء بالقطن ، والشيخ في وسط القطن ، ففتح رأس الزنبيل واذا الشيخ فيه كالفرخ ، فحسر عن وجهه ووضع فمه على أذنه وقال : يا جدّاه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وفيهم شرفاء أولاد النبي (ص) وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله (ص) وماذا قال لك . فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع ونفهم كلامه فقال :

سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة ، فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية ، فرأيت غلاماً أسمر اللون مليح الكون ، حسن الشمائل وهو يرعى ابلاً في تلك الأودية وقد حال السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض السيل لقوته فعلمت حاله ، فاتيت انيه وحملته وخضت السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة ، فلما وضعته عند ابله نظر اليّ وقال لي بالعربية : بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك . فتركته ومضيت الى سبيلي الى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنّا أتينا اليه من أمر التجارة وعدنا الى الوطن ، فلما تطاولت المدة على ذلك ، كنا جلوساً في فناء ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة رأينا البدر في كبد السماء وقد انشقّ نصفين ، فغرب نصف في المشرق ، ونصف في المغرب ساعة زمانية ، وأظلم الليل ثم طلع النصف من المشرق ، والنصف الثاني من المغرب الى أن التقيا في وسط السماء وعاد كما كان أوّل مرّة ، فعجبنا من ذلك غاية العجب ، ولم نعرف لذلك سبباً ، وسألنا الركبان عن خبر ذلك وسببه فأخبرونا : انّ رجلاً هاشمياً ظهر بمكة وادّعى انه رسول الله الى كافة العالم ، وان أهل مكّة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء ، وانّهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في المغرب ، ونصفه في المشرق ، ثم يعود الى ما

(858) في ك ( فسألنا جميعنا ان ينزل الشيخ ) .

كان عليه ففعل لهم ذلك بقدرة اللّه تعالى . فلمّاسمعنا ذلك من السفار اشتقت ( الى أن أرى المذكور ) [٨٥٩] فتجهزت في تجارة وسافرت الى أن دخلت مكة ، وسألت عن الرجل الموصوف فدلّوني على موضعه ، فأتيت الى منزله واستأذنت عليه فأذن لي ، ودخلت عليه فوجدته جالساً في صدر المنزل والأنوار تتلألأ في وجهه وقد ( استارت )[٨٦٠] محاسنه وتغيّرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأولى فلم أعرفه . فلمّاسلّمت عليه نظر اليّ وتبسّم وعرفني وقال : وعليك السلام ، أدن منّي ، وكان بين يديه طبق فيه رطب ، وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يعظّمونه ويبجلّونه ، فتوقفت لهيبته ، فقال ثانياً : أدن مني وكل فالموافقة من المروءة ، والمنافقة من الزندقة . فتقدمت وجلست ، وأكلت معهم من الرطب ، وصار يناولني الرطب بيده المباركة الى أن ناولني ست رطبات سوى ماأكلت بيدي . ثم نظر اليّ وتبسّم وقال لي : ألم تعرفني ؟ قلت : كأني ، غير اني ما تحققت ، فقال لي : ألم تحملني في عام كذا وجاوزت بي السيل حين حال السيل بيني وبين ابلي ، فعند ذلك عرفته بالعلامة . وقلت له : بلى واللّه يا صبيح الوجه ، فقال لي : امدد يدك اليّ ، فمددت يدي اليمنى اليه فصافحني بيده اليمنى وقال لي : قل أشهد أن لا اله الاّ اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه ، فقلت ذلك كما علّمني . فسرّ بذلك وقال لي عند خروجي من عنده : بارك اللّه في عمرك ، بارك اللّه في عمرك ، بارك اللّه في عمرك . فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالاسلام ، فاستجاب اللّه دعاء نبيه (ص) وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة ، وها عمري اليوم نيف وستمائة سنة ازداد عمري بكلّ دعوة مائة سنة ، وجميع من في هذه الضيعة العظيمة أولاد أولاد أولاد أولادي ، وفتح اللّه عليّ وعليهم بكلّ خير ، وبكلّ نعمة ببركة رسول اللّه (ص) . تم بالخير والحمد للّه .

قال الصفدي بعد نقل ذلك : كأني ببعض من يقف على حديث هذا المعمّر يداخله شك في طول عمره الى هذا الحدّ ، ويراجع في صدقه ، ويتردد فيه ويقول : ان كان ذلك مبلغه من العلم تقليداً لزاعمه . ان التجربة دلّت على ان غاية سن النمو ثلاثون سنة ، وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون . ويجب أن يكون غاية سنّ النقصان ضعف الأربعين المتقدمة ، فيكون نهاية العمر مائة وعشرين سنة كما زعم الطبيعيون ، وقالوا انما صار زمان الفساد ضعف زمان الكون أمّا من السبب المادي فلأنّ في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن فتتمسك بالقوة ، وأمّا من السبب الفاعلي فلأنّ الطبيعة تتأدى الى الأفضل ، وتتحامى عن الأنقص ، أو كما زعم أصحاب النجوم من أنّ قوام العالم بالشمس ، وسنوها الكبرى مائة وعشرين سنة فيقال له : ليس في قول الطائفتين برهان قطعي يدلّ على انّ نهاية عمر الانسان هذا القدر ، أو قدر معيّن غيره . ولقد جاءت الكتب الالهية صلوات اللّه على من انزلت عليه باثبات الأعمار الطويلة للأمم السالفة ، قال اللّه تعالى في حقّ نوح (ع) « فلبث فيهم ألف سنة الاّ خمسين عاماً »[٨٦١]

---

(٨٥٩) في ك ( الى رؤية ذلك النبي ) .
(٨٦٠) كذا في ع و ك ، واخالها ( استنارت ) . وفي ا ( استزادت ) .
(٨٦١) الاية / ١٤ من سورة العنكبوت .

والتوراة والانجيل مطابقان للقـرآن العظيم في اثبات الأعمار الطويلة للآدميين ، والاصرار على انكار ذلك دليل على الجهل .

وقال الشيخ أبو الريحان البيروني في كتابه المسمّى بالآثار الباقية عن القرون الخالية[٨٦٢] : وقد انكر بعض أغمار الحشوية والدهريـة مـاوُصِف من طول أعمار الأمم الخالية ، وخاصة ما ذكر فيمـا وراء زمان ابراهيم الخليل عليـه السلام .

وذكر شيئاً من كلام المنجمين ، ثم حكى عن ما شاء الله[٨٦٣] انه قال في أول كتابه في الموائيد: يمكن أن يعيش أصحاب سنّي القِران الأوسط اذا اتّفق الميلاد عند تحويل القِران الى الحَمَل ومثلثاته ، والدلالات كانت على مثل ما ذكرنا أن يبقى المولود سني القِران الأعظم وهي تسعمائة وستون سنة بالتقريب حتى يعود القـران الى موضعه .

وحكى أيضاً عن أبي سعيد بن شاذان في كتاب مذاكراته مع أبي معشر[٨٦٤] في الأسرار : انه أنفـذ الى أبي معشـر مولـوداً لابن ملك سرنديب وكان طالعـه الجـوزاء ، وزحـل في السرطان ، والشمس في الجدي ، فحكم أبو معشر بأن يعيش دور زحل ( الأوسط ، وقال : هؤلاء أهل اقليم قد تقدم بهم الحكم بطول الأعمـاروصاحبهم زحل ، ثم قال أبو معشر : وبلغني ان الانسـان اذا مات فيهم قبل دور زحـل )[٨٦٥] تعجبـوا من سـرعة موتـه . انتهى كلام أبي الريحان .

قلت[٨٦٦] ( وبقاء رتن المحكي عنه هـذا العمر معجز لرسول الله ص )[٨٦٧] ، وقد دعـا رسول الله (ص) لجماعة من أصحابـه بكثرة الولد ، وطول العمر وغير ذلك ، مثـل أنس بن مالك وغيره فبورك لهم في أولادهم وعمرهم ، ونقل أصحـاب التاريخ انّه مات في عـام وباء لأنس بن مالك سبعون ولداً أو أكثر ، فغير بدع لمن يدعو له ست مرات أن يعمّر ستمائة سنة مع امكان ذلك . غاية ما في الباب أنّ نحـن لـم نشاهد أحداً وصل الى ذلك ، وعـدم الدليـل لا يدل على عدم المدلول .

---

(٨٦٢) الآثار الباقية / ٧٨ .

(٨٦٣) في الاصول انه حكى عما شاء الله والتصويب من الآثار الباقية . وما شاء الله اسم رجل نعتـه البيروني في الآثار الباقية / ٧٩ بانه استاذ اصحاب احكام النجوم .

(٨٦٤) هو ابو معشر الفلكي ( جعفـر بن محمـد ) المتوفى سنة ٢٧٢هـ ( الاعلام ٢/١٢٢ ) .

(٨٦٥) الذي بين القوسين غير موجود في ك .

(٨٦٦) القول الصفدي .

(٨٦٧) سقطت الجملة التي بين القوسين من ك .